جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

من بلاغة شعتر العتاب في العصر الأيوبي " الملك الناصر نموذجا"

إعداد

د. آمنة الظريف محمد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد بقسم اللغة العربية

كلية العلوم الإنسانية جامعة الملك خالد

(العدد الثاني والأربعون)

(الإصدار الثاني ٠٠٠أكتوبر)

(الجزء الرابع (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) 2536- 9083)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

من بلاغة شعر العتاب في العصر الأيوبي
" الملك الناصر نموذجا"

آمنة الظريف محمد
قسم اللغة العربية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: *amnhzarif12@gmail.com*

الملخص:
ترجع اهمية البحث: إلى الكشف عن جماليات التعبير والتصوير في شعر الملك الناصر ،اعتمادًا على تحليل الأبيات ودراستها دراسة بلاغية ،وتتبع ألوان الجمال المبثوثة في ثنايا شعره، حيث امتلك هذا الشاعر الكبير خيالا خصبًا وحسًا مرهفًا، وشاعرية متوهجة ،تقع على العديد من الصور البلاغية المعبرة ،التي تترك أثرها في المتلقي، يقول قطب الدين اليونيني عن شعره: "إنّه في نهاية الجودة والفصاحة، وكان في البيت الأيوبي جماعة ينظمون الشعر لم يكن فيهم من يتقدمه إلّا أنْ كان الملك الأمجد بهرام شاه" إلقاء الضوء على شعراء العصر الأيوبي ؛ ليأخذوا حقهم من اهتمام الباحثين والدارسين ،فبعض شعرهم جدير بالبحث والدراسة ،وإحصاء ظواهره الموضوعية والجمالية، شأنهم شأن الشعراء في العصور الأدبية الأخرى. إثبات أنَّ لعلوم البلاغة أهميتها في كشف النقاب عن جماليات الأسلوب الأدبي ،وإدراك أسراره البلاغية في القديم والحديث على السواء، كما أنَّها من أبرز مقاييس الموازنة بين أديب وآخر.

الكلمات الافتتاحية: **الشعر ، البلاغة ، العتاب ، العصر الأيوبي .**

From the eloquence of reproach poetry in the Ayyubid era

"King Nasser is a model"

Amna Al-Darif Muhammad

Department of Arabic Language, College of Humanities, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.

E-mail*: amnhzarif12@gmail.com*

Abstract:

The importance of the research is due to revealing the aesthetics of expression and imagery in the poetry of King Nasser, based on analyzing the verses and studying them rhetorically, and tracing the colors of beauty scattered throughout his poetry, as this great poet possessed a fertile imagination, a sensitive feeling, and a glowing poeticism, located in many rhetorical images. Expressive, which leaves its impact on the recipient. Qutb al-Din al-Yunini says about his poetry: "It is at the end of quality and eloquence, and in the Ayyubid verse there was a group that composed poetry, and no one among them preceded it except the glorious king Bahram Shah." Shedding light on the poets of the Ayyubid era; To deserve the attention of researchers and scholars, as some of their poetry is worthy of research and study, and an enumeration of its objective and aesthetic phenomena, like poets in other literary eras. Proving that the sciences of rhetoric are important in unveiling the aesthetics of literary style and understanding its rhetorical secrets in both ancient and modern times. It is also one of the most prominent measures of balance between one writer and another.

Keywords *: Poetry, Rhetoric, Reproach, The Ayyubid Era.*

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله، أفصح العرب، صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه ،وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، وسار على نهجه إلى يوم الدين ..... اللهم آمين

أما بعد،

فالشعر أحد قطبي البيان العربي الزاخرة بالقيم التعبيرية الرائعة، كما أنه مرآة عصره، التي تعكس ما يدور فيه من أحداث ،وتظهر فيها شخصية الشاعر وملامح بيئته، وهو أداة التعبير عما تكن الصدور، وتنبض به القلوب، وتفيض به القرائح.

أهمية البحث:

- الكشف عن جماليات التعبير والتصوير في شعر الملك الناصر ،اعتمادًا على تحليل الأبيات ودراستها دراسة بلاغية ،وتتبع ألوان الجمال المبثوثة في ثنايا شعره، حيث امتلك هذا الشاعر الكبير خيالا خصبًا وحسًا مرهفًا، وشاعرية متوهجة ،تقع على العديد من الصور البلاغية المعبرة ،التي تترك أثرها في المتلقي، يقول قطب الدين اليونيني عن شعره: "إنّه في نهاية الجودة والفصاحة، وكان في البيت الأيوبي جماعة ينظمون الشعر لم يكن فيهم من يتقدمه إلّا أنْ كان الملك الأمجد بهرام شاه" [1]

- إلقاء الضوء على شعراء العصر الأيوبي ؛ ليأخذوا حقهم من اهتمام الباحثين والدارسين ،فبعض شعرهم جدير بالبحث والدراسة ،وإحصاء ظواهره الموضوعية والجمالية، شأنهم شأن الشعراء في العصور الأدبية الأخرى.

---

[1] ذيل مرآة الزمان، قطب الدين اليونيني ج١ ص ١٤٣ ط، القاهرة، ١٩٥٤م حيدر آياد ، الطبعة : الأولى

- إثبات أنَّ لعلوم البلاغة أهميتها في كشف النقاب عن جماليات الأسلوب الأدبي ،وإدراك أسراره البلاغية في القديم والحديث على السواء، كما أنَّها من أبرز مقاييس الموازنة بين أديب وآخر.

أهداف البحث:

- الوقوف على كيفية أداء الشاعر لمعانيه التي رمى إليها، والكشف عن وسائله البلاغية وأنماطه التعبيرية التي تفرد بها.
- -إيضاح الدلالات البلاغية لألفاظ القصيدة وتراكيبها.
- الكشف عن الصور البيانية والمعاني الكامنة من خلال الأغراض التي يحددها السياق، إذا تطلبها المقام واستدعاها.
- ومنهجي في الدراسة يقوم على قراءة شعر الملك الناصر داود قراءة متأنية وتذوقها، ثم تحليلها تحليلًا دقيقا.

وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتي في مقدمة ،وتمهيد ،وثلاثة مباحث ،وخاتمة ،وفهارس.

وأمّا التمهيد: فتحدثت فيه عن التعريف بالشاعر (نسبه – مولده – نشأته –وفاته)

أمّا المبحث الأول فعنوانه: البلاغة في الاستجارة بالله على أقربائه.

أمّا المبحث الثاني فعنوانه: البلاغة في عتاب الصالح نجم الدين أيوب.

أمّا المبحث الثالث فعنوانه: البلاغة في الاستنصار بالله على كربة السجن والظالمين.

أمّا الخاتمة: فتحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

التعريف بالشاعر:

الملك الناصر داود: هو دواد عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر بن الملك المعظم عيسى بن الملك العادل الكبير ابن أيوب" [١]

أبوه: الملك المعظم شرف الدين عيسى سلطان الشام" [٢]

وجده: الملك العادل أبو بكر أخو صلاح الدين الأيوبي" [٣] أما أم داوود فتركية خوارزمية عمرت بعده، وعاشت طويلا "[٤]

نشأ الملك الناصر– كأبيه – ملازمًا للاشتغال بالعلوم العقلية وعلم الكلام متذوقًا للآداب ومبدعًا فيها وحصل من المعارف طرفًا جيدًا حيث تفقه على مذهب الإمام أبي حنيفة، ويروي المؤرخون أنّه أثناء إقامة الملك الناصر في بغداد سنة ٦٣٣هـ ١٢٣٥م دعي إلى ندوة علمية حافلة ، في مهرجان افتتاح المدرسة المستنصرية ، حضرها جماعة من العلماء والدارسين ، وعدد كبير من الفقهاء والشعراء وكان الخليفة المستنصر في شرفته يتابع ما يجري ، ويسمع ويرى وقد شارك الناصر في كل فن مشاركة جيدة، وبحث واستدل واعترض وأقنع ، وناظر الفقهاء مناظرة حسنة" [٥]

مناقبه وأخلاقه:

---

[١] فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ج١ ص ٤١٩ ط: بولاق سنة ٣٩٩هـ

[٢] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٧ ص ٦١ ،ط/ القاهرة بدون تاريخ دار الكتب المصرية

[٣] فوات الوفيات ج١ ص ٤١٩.

[٤] مفرج الكروب في أخبار بني أيوب جمال الدين بن واصل ج٤ ص ٢١٩ ، تحقيق الدكتور : حسنين ربيع – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز تحقيق التراث سنة ١٩٧٢م

[٥] البداية والنهاية، ابن كثير ج١٣ ص ١١٤ طبعة دار الفكر ، مفرج الكروب ج٥ ص ١٠١

كان له الفضل في استنقاذ القدس من أيدي الفرنجة بعد أن سلمها لهم الملك الكامل، على أن يكون الحرم الشريف بما فيه من المزارات للمسلمين، ما خلا عشر ضياع من عكا إلى القدس. [١]

وفي جمادى الأولى سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م انتشر وباء الطاعون، وعم البلاد، وديار مصر، وغيرهما من النواحي والأرجاء، وصباح يوم السبت ٢٦ توفي تاركًا زينة الحياة، عن عمر يناهز الثالثة والخمسين، ودفن في تربة والده الملك المعظم عيسى، بسفح جبل قاسيون، في دير مران.[٢]

ومن العوامل التي ساعدت على إذكاء شاعريته: الحروب الصليبية التي ألهبت عواطف الشعراء، فاتخذوا من الشعر" وسيلة للدعاية، وسبيلا للتحريض على الجهاد والكفاح.... وقد خلفت هذه الحروب كثيرًا من الأبطال، فاتخذهم الأدباء والشعراء مواضيع لمدحهم، والثناء عليهم، والإشادة بمناقبهم، والتغني بفضائلهم"[٣]

نشأ شاعرنا الملك الناصر داود وترعرع وسط عائلة تعرف للشعر قدره ومنزلته، ما بين شاعر، ومتذوق للشعر، فكان جده الملك العادل "ملكًا عظيمًا ذا رأي ومعرفة، وافر العقل، متبعا لأرباب السنة، مائلًا إلى العلماء، وأما والده الملك المعظم عيسى فقد كان أديبًا شاعرًا، عالمًا في الفقه والنحو، لذا قال عنه بعض مؤرخيه أنه " كان في غاية ما يكون في عدة علوم وفنون، وهو رجل بني أيوب، وعالمهم بلا مدافعة "[٤]

---

[١] ينظر : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج٤ ص ٢٢٦

[٢] ينظر : السابق.

[٣] الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص٢٣ ، الطبعة : الثانية ط: القاهرة بدون تاريخ – دار نهضة مصر

[٤] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج٦ ص ١١٤

يقول ابن العماد الحنبلي: " كان حنفيًا، مناظرًا ذكيًا، بصيرًا بالأدب، بديع النظم، كثير المحاسن" [١]

للناصر داوود شعر في العتاب يفيض شجنًا ولوعة، وينبض أسى وحرقة، يكشف عن نفس مرهقة بالمشاعر الجياشة، وقلب إنساني مفعم بالأحاسيس المتدفقة، فقد عاش الناصر داود حياة ناعمة مترفة في ظل والده الملك المعظم عيسى، ثم تولى الملك، واصطدم بالواقع الأليم وخيانة أقرب المقربين . [٢]

وكان للاصطدام في نفسه انفعالات شديدة، وغضبات وانتقاضان فمنها من أقوال العتاب والفخر ما يصدي لحالاته النفسية أصدق إصداء " [٣]

---

[١] شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ابن العماد الحنبلي ج١ ص ٢٧٥، مكتبة القدس ١٣٥١هـ

[٢] فقد اجتمع عماه الكامل محمد، والأشرف موسى أول تملكه السلطة، وعقدا العزم على أخذ بلاده، وافقداه ملك دمشق في أول تجربة سياسية خاضها سنة ست وعشرين وستمائة من الهجرة، مفرج الكروب: ٤/٢٥٢ : ٢٥٣ .

[٣] ٢) الفخر : حنا الفاخوري . دار المعارف ١٩ : ٢٠ط. القاهرة بدون تاريخ.

الفصل الأول:

البلاغة في الاستجارة بالله على الأقرباء

الاستجارة بالله على الأقرباء

قال مستجيرًا بالله لما تمالأ عليه أقرباؤه، وعزموا على أخذ بلاده:

١- أيا ربِّ إنَّ الأقرباءَ تباعدوا وعُومِلْت منهم بالقطيعةِ والهَجرِ

٢- وقُطّعتِ الأرحامُ بيني وبينهم وجُوزيتُ عن عُرفِ الصّنائعِ بالنُّكرِ

٣- وأغلقَ دوني بابهُ كلُّ صاحبٍ فتحتُ له بابي وأدخلتهُ خِدري

٤- تَخيرَّتهُ منهم ليومِ مساءتي وأعدَدتهُ في كلِّ نائبةٍ ذُخرِي

٥- فخان عهودي اذ وفيتُ بعهدهِ وشحَّ برِفدي اذ بذلتُ له وَفري

٦- وأنت بمرأىً يا الهي ومسمعٍ وعالمُ مكنونِ السرائرِ والجهر

٧- أجرنيَ مِن باغٍ عليَّ بمالهِ ومعقلهِ المحفوفِ بالعسكرِ المَجرِ

٨- أمولايَ إنَّ العُربَ تمنعُ جارَها وتدفعُ عنه الضّيمَ بالبيضِ والسُّمرِ

٩- وقد جئتُكَ اللهمَّ أرجوكَ ناصراً لأنَّكَ أولى من يُؤمَّلُ للنَّصرِ

١٠- وإنَّهم قلٌّ على كثرةٍ بهم وانّي على قِلّي بِنصرِكَ في كُثرِ

١١- فخذ بيدي فيما أُرجّي وأتقّي على رغمِ أقوامٍ تواطوا على ضُرّي

١٢- فألطافُكَ الحُسنى لديَّ خَفيُّةٌ فبلّغني الآمالَ من حيثُ لا أدري

التحليل :

١- أيا ربِّ إنَّ الأقرباءَ تباعدوا وعُومِلْت منهم بالقطيعةِ والهَجرِ

٢- وقُطّعتِ الأرحامُ بيني وبينهم وجُوزيتُ عن عُرفِ الصّنائعِ بالنُّكرِ

يستجير الشاعر بالله على أقربائه الذين تباعدوا عنه، ولم يحسنوا صلة رحمه، فما

وجد منهم إلّا قطيعة وهجرًا ٠

استخدم الشاعر في مطلع القصيدة (أيا) في البيت الأول ،وهي نداء للبعيد، لما في (أيا) من امتداد ،وانطلاق يعطى للصوت طولًا يمكنه من الوصول للبعيد، ويمكن للأوتار الصوتية أنْ تجهر به.

وفي المجيء بحرف النداء (أيا) تعبير عن حالة نفسية ألمت بالشاعر، وقد أفرغ جهده في عتاب أهله فلم يزده ذلك إلّا بعدًا وقطيعة، فأطبق الهمُ على فؤاده وكأنّما شعر بتخلي الرب عن نصرته وبعده عن أن يمد إليه يد المساعدة، فأتى بحرف النداء كأنّما يريد أنْ يرفع صوته زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه " [1]

وآثر التعبير بـ (ربِ) بدلا من (إله) لما يشعره لفظ الربوبية من زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه، وإظهار العبودية لله عز وجل. ولأنَ الشاعر يشعر بقرب من ربه – في هذه اللحظة – حذف المضاف إليه في قوله: (أيا ربِ) فلم يقل: (ربى) إذ إن هذا الحذف يذهب به إلى هذا الإحساس بأقصى سرعة.

وفصل بين قوله: (أيا ربَ) وقوله: (إنَ الأقرباء تباعدوا) لما بينهما من (كمال الانقطاع بلا إيهام) وذلك لأن الجملة الأولى إنشائية والثانية خبرية.

[1] من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن ، د/ عبدالفتاح لاشين ١٨١، بتصرف الطبعة الأولى، دار عكاظ للنشر والتوزيع.

ومطلع القصيدة يوضح المعاناة التي عاناها الشاعر، والموقف النفسي الذي مرَ به من ظلم أقاربه وأخذ أمواله[١]، إلى غير ذلك، فجعلته ينفث تلك الأنات في زفرات حارقة لاهثة.

وجاء الشاعر بقوله: (إنَّ الأقرباءَ تباعدوا) مؤكدا بـــ (إنَّ واسمية الجملة)، وذلك لأنَّ المخاطب كان يعتقد أنَ جميع الناس يتباعدون في الشدة إلا الأقربين، فلو قال الشعر المعنى الذي يريده بدون تأكيد لتردد السامع وشك في هذا الأمر، لكن حينما جاء القول مؤكدًا منع هذا التردد وقطع هذا الشك.

وبين (الأقرباء) و (تباعدوا) طباق يوضح المعنى ويبرزه.

وجاء الشاعر بـــ (الأقرباء) مجموعًا جمع كثرة، وذلك للإشعار بأن الأقرباء الذين ظلموه كانوا كثيرين كثرة بالغة.

وجيء بالأفعال الماضية (تباعدوا – عوملت) وذلك للإشعار بأن التباعد من الأقرباء والمعاملة السيئة منهم كان أمرًا متحققا واقعا لا مراء فيه مما زاد الألم النفسي عليه.

وجاء الفعل بصيغة المبنى للمجهول (عوملت) وذلك لأن أصحاب المعاملة السيئة له كثروا كثرة لا يمكن معها ذكر أسمائهم وإحصاؤهم.

وبين (القطيعة) و (الهجر) مراعاة نظير، وهذا يوحى بشدة المرارة التي يشعر بها الشاعر واتفاق الآخرين عليه، كما أنَ فيه تأكيدًا للمعنى المراد، وهو المجافاة والمجانبة.

---

[١]) خذل الناصر داود من ذوي نصرته المقربين حين اتفق عمه الملك الصالح إسماعيل بدمشق مع ابن عمه الصالح أيوب بمصر، ومعهما الملك المنصور صاحب حمص على الاستيلاء على أملاك الناصر داود، انظر مفرج الكروب ٥/ ٣٢٣، ٣٣١ .

والتعبير بقوله: (وقُطّعتِ الأرحامُ بيني وبينهم) في البيت الثاني كناية عن التخاصم والتعادي، وهذه الكناية تكشف عمَّا ألمَ بالشاعر من هموم وأثقال أضرت بنفسه وروحه.

والتضعيف في الفعل (قطّعت) يوحى بأنَ هذه القطيعة قد بلغت درجة كبيرة ،يصعب معها الصلة مرة أخرى، وأنَ هذه القطيعة لم تحدث مرة واحدة ،وإنَّمَا كثرت وتكررت حتى وصلت إلى هذه النتيجة المؤسفة.

وجيء بـــ (الأرحام) مجموعة جمع كثرة للإشعار بأنَ أقرباءه كانوا كثيرين كثرة فائقة، وأنَ هذا الجمع تركه وتخلى عنه في وقت محنته.

والتعبير بقوله: (وجُوزيتُ عن عُرفِ الصّنائعِ بالنُّكرِ) كناية عن سوء أخلاقهم وفساد معاملتهم حيث يقابلون الإحسان بالإساءة.

٣- وأغلقَ دوني بابهُ كلُّ صاحبٍ فتحتُ له بابي وأدخلتهُ خِدري

٤- تَخيرَّتهُ منهم ليومِ مساءتي وأعدَدتهُ في كلِّ نائبةٍ ذُخرِي

٥- فخان عهودي اذ وفيتُ بعهدهِ وشحَّ برِفدي اذ بذلتُ له وَفري [١]

٦- وأنت بمرأىً يا إلهي ومسمعٍ وعالمُ مكنونِ السرائرِ والجهر

٧- أجرنيَ مِن باغٍ عليَّ بمالهِ ومعقلهِ المحفوفِ بالعسكرِ المَجرِ

بيَن الشاعر كيفية مقابلة الإحسان بالإساءة ؛حيث إن أصدقاءه خذلوه، وهو قد وصلهم وأكرمهم حتى أدخلهم حذره ومكان نومه، وهذا الصاحب الذي اصطفاه ليوم شدته قد تخلى عنه، ولم يقف بجانبه في محنته، فهذا الصديق خان العهود في الوقت الذي وفيت له بعهودي، ولكنَه يبخل بأقل القليل في الوقت الذي سخوت له بكل

[١] الوفر: الغنى، ومن المال والمتاع: الكثير الواسع . القاموس المحيط مادة: وفر

ما أملك، ويستجير بالله (عز وجل) الذي يعلم حقيقة أمره، ويدعو ربه (عز وجل) أن يجيره من ظلم الظالمين الذين طغوا عليه بالمال الذي كان من الواجب أن يصلوه به، وكذلك الجنود والجيوش.

وكلمة (كلُ) في البيت الثالث توحي بأنَ حكم الإقصاء والإبعاد عام على كل صديق. وعبّر بـــ (الصاحب) دون (القرين) لأنَ الصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر، ولهذا يستعمل في الآدميين خاصة فيقال: صحب زيد عمرًا، والمقارنة تفيد قيام أحد القرينين مع الآخر، ويجرى على طريقته وإن لم تنفعه، ومن ثم قيل: قران النجوم، وقيل للبعيرين يشد أحدهما الآخر بحبل قرينان " . [١]

وقد أوفت المقابلة بالمعنى المراد في البيت، حيث إنَه يحسن ويجود بينما أقرباؤه يسيئون إليه، ويتخلون عنه عند شدته.

وفصل بين قوله: (وأغلقَ دوني بابهُ كلُّ صاحبٍ) وقوله: (فتحتُ له بابي) لـــ (شبه كمال اتصال) لأنّ الجملة الأولى أثارت سؤالاً تقديره: لماذا تحزن من إغلاق كل صاحب بابه في وجهك؟ فكان الجواب: (فتحت له بابي) وأتى بكلمة (خدري) بعد (بابي) لتبين مدى اهتمام الشاعر وثقته الشديدة بأصحابه، فقد أطلعهم على أسراره التي يخبئها في حذره، ثم عومل بالصد والهجر منهم.

واستخدام الشاعر للأفعال الماضية في قوله: (وأغلق – فتحت – أدخلته) يوحى بتحقق هذه الأفعال ووقوعها.

ووصل بين قوله: (فتحت له بابي) وقوله: (وأدخلته حذري) لما بينهما من التوسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى. ووصل بين شطري البيت في قوله:

٤– تَخيرَّتهُ منهم ليومِ مساءتي وأعدَدتهُ في كلِّ نائبةٍ ذُخرِي

---

[١] الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ٢٨٣، ٢٨٤

لما بينهما من (التوسط بين الكمالين) لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

والأفعال الماضية (تخيرته – أعددته) تشعر بتحقق وقوع الحكم، وهو التخيير وإعداد العدة.

وإضافة (كل) إلى (نائبة) توحى بعموم الأمر وشموله.

وتنكير (نائبة) يشعر بالتفخيم والتهويل، أي كل نائبة هائلة ومخيفة.

و(الفاء) في قوله في البيت الخامس: (فخان عهودي) ترسم سرعة حصول خيبة الأمل للشاعر في أقربائه وأصدقائه، وذلك لما في (الفاء) من معنى التعقيب.

وعبر بكلمة (عهودي) جمعاً للكثرة لتعدد ما قام به الصديق من خيانات.

وإضافة (العهود) إلى (ياء المتكلم) حققت الإيجاز إذ لو لم تكن هذه الإضافات لقيل: عهد فلان وعهد فلان، فحينما جاءت هذه الإضافة أغنت عن هذا التفصيل المتعذر.

وبين قوله: (فخان عهودي) وقوله: (إذ وفيت بعهده) مقابلة توضح المعنى بالتضاد، حيث وفَى بالعهد الذي أخذ على نفسه بينه وبين صديقه، بينما خان صديقه عهده.

وبين قوله: (شحَ برفدي) وقوله: (إذ بذلت له وفري) مقابلة توضح المعنى حيث يبين جوده عليهم ،بينما يقابلون ذلك بالشح والبخل عليه.

وقوله: (بمرأى ومسمع) تشعر بمطلق القدرة الإلهية، إذ يحيط الله سبحانه وتعالى بكل شيء.

والمراد من الأمر في البيت السابع في قوله: (أجرني) التوسل والدعاء.

وأتى الشاعر بكلمة (باغ) نكرة لتحقير هذا البغي والتقليل من شأنه، كما أنَّها تشعر بكثرة البغي والظلم.

٨- أمولاي إنَّ العُربَ تمنعُ جارَها وتدفعُ عنه الضّيمَ بالبيضِ والسُّمرِ

٩- وقد جئتُكَ اللهمَّ أرجوكَ ناصرًا لأنَّكَ أولى من يُؤمَّلُ للنَّصرِ

١٠- وإنَّهم قلٌّ على كثرةٍ بهم وإنِّي على قِلّي بِنصرِكَ في كُثرِ

١١- فخذ بيدي فيما أُرجِّي وأتقَّي على رغمِ أقوامٍ تواطوا على ضُرِّي

١٢- فألطافُكَ الحُسنى لديَّ خَفيَّةٌ فبلّغني الآمالَ من حيثُ لا أدري

آثر الشاعر النداء بالهمزة في البيت الثامن للإشعار بقرب الشاعر الشديد من ربه.

وجاء التعبير بقوله: (إنَّ العرب تمنع جارها) مؤكدًا بـ (إنَّ واسمية الجملة) لقطع أيّ شك في الخبر الذي أخبر به الشاعر.

وفصل بين قوله :(أمولاي) وقوله: (إنّ العرب تمنع جارها) لـ (كمال الانقطاع بلا إيهام) لاختلاف الجملتين في الخبرية والإنشائية.

وآثر الناظم التعبير بالفعل المضارع في قوله: (تمنع جارها وتدفع عنه الضيم) للإشعار بالتجدد والاستمرار وهذه قاعدة مستمرة عندهم.

وبين قوله :(تمنع جارها) وقوله: (وتدفع عنه الضيم) (توسط بين الكمالين) لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى (وبين البيض والسمر) طباق يوضح المعنى ويؤكده. وجاءت (واو العطف) في قوله :(البيض والسمر) لتعدد الأسلحة.

والتعبير بالفعل الماضي المصحوب بـ (قد) في قوله :(وقد جئتك) يشعر بتحقق حدوث الفعل.

والمراد من النداء في قوله: (اللهم) التوسل والضراعة.

ولم ينادِ باسم الجلالة (الله) في القرآن الكريم، واستغنى عنه بكلمة (اللهم) قال سبحانه: (قل اللهم مالك الملك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممن تشاء"[١] ، ونحس في كلمة (اللهم) فقد دعا بجميع أسمائه كلها. فـ (اللهم) هو (الله) زيدت فيه

[١] آل عمران آية ٢٦

(الميم) فهو الاسم العلم المتضمن لجميع أوصاف الذات، وقال الحسن :(اللهم) مجمع الدعاء" [1]

وقوله: (لأنَك أولى من يؤمَل للنصر)) تعليل لما قبله.

وحذف المفضل عليه في اسم التفضيل (أولى) وذلك لانتفاء وجه المقارنة. وفي البيت العاشر: صدر البيت بجملة مؤكدة من (إن واسمية الجملة) للإشعار بهذا الحكم واستمراره، وهو قلة العرب، وإنْ كانوا كثرة في جانب قوة الله ونصرته.

وجاءت (قلٌ) نكرة للتحقير من شأنهم، فعلى كثرتهم فلا منفعة منهم. وجاءت لفظة (كثرة) نكرة في الأولى للتحقير لأنّها كثرة في جانب القوة الإلهية. وجاءت نكرة في الشطر الثاني للتعظيم لأنّها مستمدة من الله سبحانه وتعالى.

وبين الشطرين مقابلة تبرز المعنى وتوضحه، فهم رغم كثرتهم إلا أنّهم في قلة بالنسبة لقدرة الله العظيم.

والتعبير باسم الموصول (ما) في قوله: (فيما) يوحي بالعموم والشمول لكل ما يرجيه ويتقيه.

وعبّر بصيغة المضارعة في قوله: (أرجي) و (أتقى) للتجدد والاستمرار واستحضار الصورة.

وعبّر بقوله: (تواطؤا على ضري) ليشعر بقسوة القلوب وشدتها عليه. والتعبير بقوله: (على رغم أقوام تواطؤا على ضرى) كناية عن شدة ثقة الشاعر في تأمين الله تعالى له ورجائه فيه رغم تواطؤ الجميع عليه.

والتعبير بقوله: (لدى خفية) توحي بجهل الشاعر بألطاف الله تعالى ،التي لا يطلع عليها عبد من عباده.

---

[1] من أسرار التعبير في القرآن " حروف القرآن" للدكتور عبد الفتاح لاشين.

المبحث الثاني:

البلاغة في عتاب الصالح نجم الدين أيوب

في عتاب الصالح نجم الدين أيوب

وكتب إلى ابن عمه الصالح نجم الدين أيوب يعاتبه:

١- قُولوا لِمن قاسمتُهُ ملكَ اليدِ ونهضتُ فيهِ نهضةَ المُستأسِدِ

٢- واقعتُ فيه كلّ أصيدَ مِن ذوي رَحِمي عريقٍ في العلاءِ مُسوَّدِ

٣- لاقيتهم بسنانِ كلِّ مثقّفٍ صَدقِ الكُعوبِ وحدِّ كلِّ مُهنّدِ

٤- عاصيتُ فيهِ ذوي الحِجا مِن أُسرتي وأطعتُ فيهِ مكارمي وتودُّدي

٥- يا قاطعَ الرّحِمِ التي صِلتي بها كُتِبت على الفَلكِ الأثيرِ بعسجدِ

٦- سدّدتَ نحوي بالعتابِ مقالةً جاءت كسهمٍ للنّضالِ مُسدَّدِ

٧- أتقولُ فيَّ مقالةً لكَ جُزؤها إنْ أنصفت أو كلُّها ان تَعتدِ

٨- إنْ كنتَ تقدحُ في صريحِ مناسبي فاصبِر بعرضِكَ للّهيبِ المَوصدِ

٩-عَمّي أبوكَ ووالدي عمٌّ بهِ يعلو انتسابُكَ كلَّ ملكٍ أصيدِ

١٠- صالا وجالا كالأُسودِ ضواريا وأزيزِ تيّارِ الفُراتِ المُزبِدِ

١١- ورِثا الحماسةَ والسّماحةَ عن أبٍ ورّادِ حربٍ موردٍ للمُجتدِي

١٢- العادلِ الملكِ المؤيَّدِ بالتُّقى سيفِ الإلهِ على البغاةِ مُحمّدِ

١٣- هم دوّخوا قممَ الممالكِ فاغتدت منقادةً ولغيرِهم لم تَنقدِ

١٤- إنّي وانَّك نلتقي في ذُروةٍ للمجدِ تعلو عن مكانِ الفرقَدِ

١٥- بهم حَللنا الأوجَ مِن فَلكِ العُلى فعلامَ تعبثُ بالحضيضِ الأوهدِ ؟

١٦- دَع سيفَ مِقوليَ البليغِ يذودُ عن أعراضِكم بفِرِندِهِ المُتوَقّدِ

١٧–فهو الذي قد صاغَ تاجَ فَخارِكم بمفصَّلٍ مِن لؤلؤٍ وزبرجدِ

١٨– ولئن غَدوتَ بما تقولُ مخصصي لأُبرهِننَّ على الصَّحيحِ المُسندِ

١٩– انّي الذي اشتهرت جميلُ خلائقي بفعالِ معروفٍ وقولٍ أحمدِ [١]

٢٠– الناسُ أُجمعُ يعلمونَ بأنَّني مِن آلِ شاذٍ في صميمِ المحتِدِ

٢١– بيتي ونفسي في المعالي آيةٌ مَثلَ السُّها ما أن تُلامسُ باليدِ

٢٢– سمحٌ إذا ما شَحَّ موسرُ معشرٍ في حالتيَّ بطارِفي وبمتُلدي

٢٣– انّي لأقصدُ والملوكُ كثيريةٌ في أزمتي خوفٍ وعامٍ أجردِ

٢٤– بيتي إذا ما خافَ حُرٌّ أو رجا حَرَمُ الدّخيلِ وكعبةُ المُسترفِدِ

٢٥– حِصنُ المطرّدِ ان تعذَّرَ منعُهُ مِن خوفِ جمّاعِ الجنودِ مؤيّدِ

٢٦– آوي المشرَّدَ لي وأُعطى مانعي وأقيلُ أعدائي وأرحمُ حُسّدي

٢٧– إنَّ الغِنى والجودَ مِن نفسِ الفتى ليسا بكثرةِ أينُقٍ أو أعبُدِ

٢٨– ما كلُّ مِقلالٍ ضنينٌ باللُّهى ما كلُّ مِكثارٍ بذي كفٍّ نَدِي

٢٩– كم مِن فقيرٍ كالغنيّ بفعلهِ وأخي غِنىً كالمملقِ المُتجرّدِ

٣٠– فلذا يجودُ ووجهُهُ مُتهلّلٌ ولذاكَ يأخذُ وهو كالعاني الصّدي

٣١– ما أمّني العافونَ الا عاينُوا بِشرًا بوجهي واخضلالا في يدِي

٣٢– ما إن رئُيتَ ولا أرى في مُهلتي يوماً على أهلي بفظ أنكدِ

---

[١] (١) الملك الصالح نجم الدين أيوب هو: الملك الصالح بن محمد بن الملك الكامل بن أبي بكر من كبار الملوك الأيوبيين بمصر، ولد بالقاهرة سنة ثلاث وستمائة من الهجرة ، وتوفي سنة سبع وأربعين وستمائة ، الأعلام ٣٨/١ ، لنجوم الزاهرة ٦/ ٣٦٣.

(٢) ديون الملك الناصر داود الأيوبي.

٣٣- انّي لهم في النائباتِ لخادِمٌ والخادمُ الكافي لهم كالسَّيّدِ

٣٤- وأنا المجيبُ دعاءَهم إن أُرهِقوا علناً بصوتي في العجاجِ الأربَدِ

٣٥- فأقيهمُ بحُشاشتي مُتبرّعاً مِن كلِّ بؤسٍ رائحٍ أو معتدي

٣٦- أفديهمُ إن قُوتلوا وأمدُّهُم إن أعسرُوا وأودُّهُم للسُّؤدَدِ

٣٧- يا مُحرجي بالقولُ واللهِ الذي خَضَعت لعزَّتهِ جباهُ السُّجَّدِ

٣٨- لولا مقالُ الهجرِ منكَ لما بدا منّي افتخارٌ بالقريضِ المُنشَدِ

٣٩- إن كنتُ قلتُ خلافَ ما هو شِيمتي فالحاكمونَ بمسمعٍ وبمشهدِ

٤٠- فخرُ الفتى بفعالهِ ذَمٌّ إذا هو لم يُلاحِ بالمقالِ المعتدي

٤١- والصِّدق كالكذبِ الصَّريح سفاهةً والمستقيمُ المتنِ كالمتأوّدِ

٤٢- واللهِ يا ابن العمّ لولا خِيفتي لرميتُ ثغركَ بالعُداةِ المُرّدِ

٤٣- لكنَّني مِمن يخافُ حَزامةً ندماً يُجرّعُني سِمامَ الأسودِ

٤٤- فأراكَ ربُّكَ بالهُدى ما ترتجي لنراكَ تفعلُ كلَّ فعلٍ أرشدِ

٤٥- لنعيدَ وجهَ الملكِ طلقاً ضاحكاً ونردَّ شملَ البيتِ غيرَ مُبدَّدِ

٤٦- كي لا ترى الأيامُ أنّا فرصةٌ للخارجينَ وضحكةٌ للحُسَّدِ

٤٧- لازالَ هذا البيتُ مرتفعُ البنا يزهُو بأمجدَ بعدَ آخرَ أمجدِ

٤٨- تحوي البنون المجدَ عن آبائِهم إرثا على مرِّ الزَّمانِ الأطرَدِ

٤٩- حتى يكونوا للمسيحِ عصابةً بهم يسوسُ المُعتدِي والمُهتدي

التحليل:

١- قُولوا لِمن قاسمتُهُ ملكَ اليدِ ونهضتُ فيهِ نهضةَ المُستأسِدِ

٢- واقفتُ [١] فيه كلّ أصيدَ [٢]مِن ذوي رَحِمي، عريقٍ في العلاءِ مُسوَّدِ

٣- لاقيتهم بسنانِ كلِّ مثقّفٍ [٣] صَدقِ الكُعوبِ [٤]، وحدِّ كلِّ مُهنّدِ

٤- عاصيتُ فيهِ ذوي الحِجا مِن أُسرتي وأطعتُ فيهِ مكارمي وتودُّدي

****

يعاتب الشاعر ابن عمه الصالح نجم الدين أيوب [٥] ويذكره بعونه له فيما مضى، لكن الصالح نجم الدين قابل هذا الإحسان بالإساءة، فتآمر ضد داود ،حتى نزع منه ملكه وألقاه في غياهب السجون، ويقول: وعاديت من أجله كل كريم من أقربائي، وما كان من عقلاء قومي إلّا نصحوني أنْ أقف بجانب نجم الدين لمعرفتهم بغدره، ولكن مكارمي وحسن خصالي هي التي حملتني على معاونته.

المراد من الأمر في قوله: (قولوا) في البيت الأول العتاب، فهو يعاتب ابن عمه الملك الصالح نجم الدين، ويذكره له بالعون له عندما اتفق ضده عمه الملك الصالح إسماعيل والملك العادل أخو الصالح نجم الدين. والتعبير عن نجم الدين باسم الموصول (مَن) يوحى بتوبيخه وغضبه عليه. والأفعال الماضية (قَاسَمتُهُ – نَهضتُ) لتحقيق الوقوع.

---

[١]واقفت: من قولهم واقفه مواقفه ووقافا : إذا وقفت معه في حرب أو خصومة ، لسان العرب مادة وقف ٣٧٩/٩/٩ .

[٢]الأصيد: الذي يرفع رأسه كبرًا، المصدر السابق مادة صيد ، ٤٤٠/٥ .

[٣]مثقف : رمح مثقف أو مستوٍ، وتثقيف الرماح تسويتها ، ٦٨٤/١ .

[٤]صدق الكعوب: الصدَق بالفتح : الصلب من الرماح، ورمح صدق أي مستوٍ ، اللسان مادة صدق.

[٥]سبق التعريف به ينظر البحث ١٦٦.

وبينهما توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى. [١] وصيغة المفاعلة في (قَاسَمتُ) توحى بمشاركة الشاعر لابن عمه في السلطان أي أنَّه ليس من بيت حقير، بل إنه من بيت عز وملك. والتعبير بقوله: (مُلك اليَد) يدل على شدة الهيمنة والسيطرة على الملك والسلطان وفي قوله: (نهضتُ فيهِ نهضةَ المُستأسِدِ) تشبيه بليغ، شبّه نهضته من أجله على أعدائه بنهضة الأسد المقدام.

والتعبير بقوله: (واقفتُ فيه كلّ أصيدَ) كناية عن رفعة شأن أقرباء الشاعر – ورغم ذلك – عاداهم نكاية فيهم وحبا لابن عمه.

وإضافة (كل) إلى (أصيد) تفيد العموم، أي أنَّ الشاعر قد عادى كل أقربائه من أجل الصالح نجم الدين.

وتنكير كلمة (أصيد) تشعر بالعظمة والفخامة. وتنكير كلمة (عريق، مسوَد) يشعران بشدة العراقة والسؤدد وفخامتهما.

والتعبير بصيغة الماضي في البيت الثالث (لاقيت) يوحى بتحقق الوقوع، كما يدل على شدة المبارزة والمواجهة، ولم يقل: (لاقيَتهم) لأنَّ (فاعل) تدل على المشاركة. ونكرت كلمتا (سنَان ومثقَف) لتعدد آلات الحرب وتنوعها.

والتعبير بقوله: (صدِق الكُعوب) ذكر للخاص بعد العام، إذ ذكر أولًا (سِنَان كُلِ مثقَف) وهو عام، وذكر ثانيا (صدقِ الكعُوب) وهو خاص. وفي البيت حسن تقسيم، حيث قسَّم وسائل لقائه في الحرب فذكر السيوف المسنونة،

---

[١]

والرماح الرائشة، والقنا الحادة القوية، وجمال هذا التقسيم يرجع إلى استقصاء الشاعر كل وسائل الحرب.

وبين الشطرين توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى، وبين الشطرين مقابلة توضح المعنى بالتضاد.

وفي قوله: (أطعتُ فيهِ مكارمي وتودُّدي) شبّه الشاعر المكارم بأشخاص، وحذف المشبه به، وأتى بشيء من لوازمه، وهو طاعته له على سبيل الاستعارة المكنية.

٥- يا قاطعَ الرّحِمِ التي صِلتي بها كُتِبت على الفَلكِ الأثيرِ بعسجدِ[١]

٦- سدّدتَ نحوي بالعتابِ مقالةً جاءت كسهمٍ للنّضالِ مُسدَّدِ

٧- أتقولُ فيَّ مقالةً لكَ جُزؤها إنْ أنصفت أو كلُّها إن تَعتدِ

٨-إن كنتَ تقدحُ في صريحِ مناسبي فاصبِر بعرضِكَ للّهيبِ المَوصدِ[٢]

٩-عَمّي أبوكَ ووالدي عمٌّ بهِ يعلو انتسابُكَ كلَّ ملكٍ أصيدِ

١٠- صالا وجالا كالأُسودِ ضواريا وأزيزِ [٣]تيّارِ الفُراتِ المُزبِدِ [٤]

١١- ورِثا الحماسةَ والسّماحةَ عن أبٍ ورّادِ حربٍ موردٍ للمُجتدِي

١٢- العادلِ الملكِ المؤيَّدِ بالتُّقى سيفِ الإلهِ على البغاةِ مُحمّدِ

١٣- هم دوّخوا قممَ الممالكِ فاغتدت منقادةً ولغيرِهم لم تَنقد[٥]

١٤- إنّي وانَّك نلتقي في ذُروةٍ للمجدِ تعلو عن مكانِ الفرقَدِ [٦]

---

[١] العسجد: الذهب، وقيل اسم جامع للجوهر كله، اللسان مادة عسجد

[٢] للهيب المؤصد : المطبق ، اللسان مادة وصد

[٣] الأزيز : الالتهاب والحركة ، والأزيز صوت غليان القدر ، اللسان مادة أزز

[٤] المزبد: الذي يرمي بالزبد وبحر مزبد أي يقذف بالزبد ، اللسان مادة زبد

[٥] داخ يدوخ دوخا : ذل وخضع ، داخ البلاد يدوخها : قهرها واستولى على أهلها . اللسان مادة دوخ

[٦] الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ، اللسان مادة فرقد

١٥- بهم حَللنا الأوجَ مِن فَلكِ العُلا فعلامَ تعبثُ بالحضيضِ الأوهدِ ؟

يذكر الشاعر الصالح نجم الدين بقرابته له والرحم التي بينهما ، وهي أنَّهما ابناء عمومة ، فإنْ وصفه بالصفات الطيبة ، فهذا سيعود عليه وعلى نجم الدين ، وإنْ شانه بشيء مشين فهذا السوء سيعود على نجم الدين ، ثم يأتي بالأدلة لما حذر منه نجم الدين عندما عاب عليه أنْ يشينه ، فيقول له : (إن كنت تشكك في عراقة أصلي وعلو نسبي ، فاجتهد في الدفاع عن شرفك وعرضك من هذه القذيفة التي سألقيها إليك ، ولقد كان أبي وأبوك أبطالًا شجعانًا كالأسود الضواري ،التي تزأر وأصواتها العالية التي تشبه تيار نهر الفرات وأمواجه عالية مزبدة فإنَّي (أي الناصر داوود) وإنَّك (الصالح نجم الدين) نلتقي في جدنا الملك العادل محمد المؤيد بالنصر ، وهو قمة المجد التي علت النجوم العوالي ، فإذا كانت لنا هذه المكانة السامية ، فيا للعجب منك كيف تنزلني منازل سفلة القوم بالرغم من أنَّ هذا يشينك ويزرى مكانك ؟

المراد من النداء في قوله: (يا قاطع) العتاب، مع التقرب والتودد. والتعبير بقوله: (قاطع الرحم) كناية عن الجفاء والإساءة إليه.

وبين (قاطع) و (صلتي) طباق يبرز المعنى ويوضحه، والتعبير بقوله: (كتبت على الفلك الأثير) كناية عن شدة الروابط بينهما. وفي كلمة (عسجد) استعارة تصريحية أصلية، حيث شبّه (المداد)بـ (العسجد)، وحذف المشبه، وصرح بالمشبه به، وهذا التصوير يشعر بقيمة المداد الذي يكتب به الشاعر.

وفي البيت السادس: شبّه المقالة بالسهم المسدد، وذلك لأنَّ عتابه جاء لاذعًا شديدًا مثل السّهم المسدد من منصوب خبير. والمراد من الاستفهام في البيت السابع في قوله: (أتقول في؟) الاستنكار.

وأتى بكلمة (مقالة) نكرة للتحقير، وجيء بها مفردة للتقليل من شأنها.

و(إنْ) في قوله: (إنْ أنصفت) تفيد التقليل في إنصاف ابن عمه له.

والتعبير بقوله في البيت الثامن: (إنْ كنتَ تقدحُ) يوحى بزعزعة ثقة الشاعر في إخلاص ابن عمه له،

ويقوي ذلك لفظة (إنَ) التي تفيد الشك والتقليل. وجمعت لفظة (منَاسبي) لتعدد وتنوع مناسب الشاعر.

والمراد من الأمر في قوله: (اصبِر) التهديد. وفي قوله: (اللَهيب المُوصدِ) تصوير بالاستعارة، شبّه رده على قدحه في نسبه وأصله باللهيب، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية. والبيت التاسع كله شرح وتفسير للبيت الذي قبله، وفيه إطناب بذكر الخاص بعد العام، إذ أشار في البيت السابق للقرابة العامة، وفي هذا البيت حدد نوع القرابة وهي (العمومة).

وتقديم المسند (عمِى) على المسند إليه (أبُوك) فيه تذكير له بصلة الرحم التي تجمع بينهما، وفيه تشويق لذكر المسند إليه.

وقوله: (بهِ يعلو انتسابُكَ) قصر بطريق التقديم حيث قصر علو النسب وشرفه على أبيه.

وهذا القصر يشعر بأنَّ أبا الملك الناصر قد حاز الشرف والعلو لنفسه دون أن يعطى أحدًا منه شيئًا.

ووصف (الملك) بـ (الأصيدَ) يشعر بعراقة هذا الملك وعظمته. وعبّر بصيغة الماضي في قوله: في البيت العاشر (صَالَا وجَالَا) للإشعار بتحقق الوقوع، ويشبّه الشاعر في البيت أباه وعمه الملك الكامل بالأسود الضواري، وبتيار الفرات الشديد الذي يعلوه الزبد من قوة اندفاعه ،والتعبير بقوله: (تيّارِ الفُراتِ المُزبِدِ) يوحى بالقوة التي يعقبها خير كثير

والتعبير بقوله: (تيّارِ الفُراتِ المُزبِدِ) يوحى بالقوة التي يعقبها خير كثير. والبيت جاء صورة متكاملة في الحركة (صالًا وجَالًا) والصوت في (أَزِيزَ) واللون في (المزبَدِ).

وقوله في البيت الحادي عشر: (ورِثا الحماسةَ والسّماحةَ) شبّه الحماسة و (السَماحة) بأشياء مادية تورث، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (ورَثَ) على سبيل الاستعارة المكنية.

وبين (الحمَاسة والسَماحَة) جناس قلب لاتفاق الكلمتين في الحروف واختلافهما في المعنى وفي ترتيب الحروف، وهذا الجناس يعطى جرسًا موسيقيًا عذبًا. وقوله: (عن أبٍ ورّادِ حرب) كناية عن كثرة الاشتراك في الحروب مرة بعد مرة. وصيغة المبالغة (وراد) تقوي المعنى وتؤكده.

وحذف المسند إليه في قوله: (العادل الملك) والتقدير: هو العادل، للبعد عن السآمة والملل، فقد أشار الشاعر إلى ذلك المسند إليه قبل ذلك.

ويبين عبد القاهر بلاغة الحذف فيقول: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنّك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وتجدك أنطق ما تقول إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لمتبن"[١]

ونلاحظ أنَّ الصفات في قوله: "العادل الملك المؤيد بالتقي سيف الإله على البغاة محمد" قد مضت بعضها بجوار بعض من غير عاطف، وذلك لأنَّ موصوفها متحد، وقصد الأشعار بأنّ هذه الصفات في تلازمها كالصفة الواحدة.

[١] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني ١٥٠

وفي قولـه: (سيف الإلـه) شبّه الملك العادل بسيف الإلـه، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وفي هذه الصورة إبراز وإظهار لتأييد الله لـه.

وقدم المسند إليه في قوله :(هم دوخوا) للإشعار بتقوية الحكم، "وتأكيد ثبوت الفعل للفاعل، ومنع السامع من الشك، وذلك لتكرار الإسناد مرة إلى المسند إليه. ومرة أخرى إلى ضميره المستتر في الفعل، وتكرار الإسناد يقوي الحكم ويتقرر في ذهن السامع"[1]

وفي قولـه: (قمم الممالك منقادة) شبّه الممالك ورؤوسها بأشخاص، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشئ من لوازمه وهو (الانقياد) على سبيل الاستعارة المكنية.

و"الفاء" في قوله:(فاغتدت منقادة) توحي بسرعة الانقياد، وذلك لما فيها من معنى التعقيب والفورية.

وقولـه): ولغيرهم لم تنتقد) استدراك لمنع الفهم الخطأ، حتى لا يذهب الفكر إلى أنّ هناك عظماء غير أجداده، وأصل التركيب (لم تنقد لغيرهم). قدم الجار والمجرور، فهذه الممالك من بطشها وبأسها لا تلين، ولا تخضع لأحد أبدًا إلا لأجداده وآبائه.

وتقديم (إنَّ) التي للتأكيد متصلة بها (ياء المتكلم) على (كاف الخطاب)، في قولـه: (وإنّك) لتعظيم وإعلاء نفسه على ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولم يذكر الشاعر اسم ابن عمه ولا اسمه، بل عبّر بالضمير المتصل رغبة منه في قطع الصلة بينهما، ولو كان يريد وصلها لقال: (إنّنا) للإشعار بالمغايرة.

وليشعر بالتجدد والاستمرار واستحضار الصورة في أنَّهما يلتقيان في جدهما، عبَر بصيغة المضارع (نلتقي).

---

[1] المعاني في ضوء أساليب القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين ص١٦٣، ١٦٤دار الفكر العربي ط: الثانية ١٤٢٠هـ -٢٠٠م

وقولـه: (فـي ذروةٍ للمَجدِ) شبّه ذروة المجد بظرف بجامع شدة التمكن في كل، ثم استعيرت (في) من معناها الحقيقي (الظرفية) لتلبس ذروة المجد بالشاعر وأولاد عمومته على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الحرف، والقرينة دخول (في) على ذروة المجد ،والتعبير بقوله: (تعلو عن مكانِ الفرقَدِ) امتداد للصورة وتوكيد لها.

وفي البيت الخامس عشر: قصر الشاعر حلو الأوج وبلوغ المكارم على آبائه قصرًا حقيقيًا ادعائيًا، وطريق القصر (التقديم)، وقوله: (فلك العلا) إطناب بالتكرار لمعنى الأوج.

والمراد من الاستفهام في قوله: (فعلام تعبث بالحضيض الأوهد ؟) التعجب والإنكار، فالشاعر يتعجب من ابن عمه بإنزاله له منازل سفلة القوم، وهذا يقلل من شأنه.

ونلحظ كلمة (الأوهد) بعد(الحضيض) لبيان شدة النزول إلى مساقط الحقارة والخسة والانحطاط.

١٦_ دع سيف مقولي البليغ يذود عن أعراضكم بفرنده المتوقد

١٧_ فهو الذي صاغ تاج فخاركم بمفصل من لؤلؤ وزبرجد

١٨_ ولئن غدوت بما تقول مخصصى لأبرهنن على الصحيح المسند

يطلب الشاعر من ابن عمه أنْ يترك العنان للسانه ليدافع عن أعراض قومه، فأشعاره هي التي صنعت تاج المجد والفخر، ثم يحذره من السب والإهانات التي وجهها نجم الدين إليه فعنده من البراهين والأدلة القاطعة على كذبها.

والمراد من الأمر في البيت السادس عشر في قوله: (دع) النصح والإرشاد. وفي قوله:(سيف مقولي) تشبيه بليغ، حيث شبه مقوله بالسيف، وفي هذا إشعار بأنّ كلمته كالسيف الحاد.

وجمعت كلمة (أعراضكم) للكثرة والتعدد، وتذكيرًا له بصلة الرحم، وإثارة الحمية والنخوة.

وفي البيت السابع عشر: استخدم الشاعر الضمير (هو) واسم الموصول " الذي " ليقصر أشعاره على صناعة تاج المجد والفخر لهم، وطريق القصر تعريف الطرفين.

وآثر الناظم بصيغة الماضي في قوله: (صاغ) لتحقق الوقوع وأنَّ الشاعر هو الذي قد صاغ لهم الفخر والعزة بأشعاره.

وفي قوله: (بمفصل من لؤلؤ وزبرجد) تشبيه بليغ، حيث شبّه ألفاظه باللؤلؤ والزبرجد في جمالها.

وفي البيت الثامن عشر: يؤكد الشاعر كلامه على علو شأنه بأسلوب القسم في قوله: (ولئن غدوت بما تقول مخصصي) وأكد جواب القسم بلام القسم ونون التوكيد في قوله): لأبرهنن).

وجاء التعبير بقوله: (الصحيح المسند) ليشعر بثقته في نفسه وقدرته على إثبات ما يدل على رفعته.

وفي قوله:) الصحيح المسند) تورية"[1] حيث ورى الشاعر عن المعنى البعيد وهو ثقة الشاعر في نفسه بالمعنى القريب وهو صحيح الإمام البخاري ومسلم، وتكمن بلاغة التورية في "أنَّ المعنى البعيد المورى عنه يبدو من خلف المعنى القريب غير المراد في صورة حسنة لطيفة، كما يبدو وجه المرأة الحسناء من وراء البرقع"[2]

١٩_ إني الذي اشتهرت جميل خلائقي بفعال معروف، وقول أحمد

٢٠_ الناس أجمع يعلمون بأنني من آل شاذي، في صميم المحتد

---

[1] التورية وتسمى الإيهام أيضا وهي: أن يطلق للفظة معنيان قريب وبعيد ، ويراد البعيد منهما ، الإيضاح ج٦ ص ٣٨

[2] علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د. بسيوني فيود مؤسسة المختار دار المعالم الثقافية ط: الثانية١٤١٨ هـ ١٩٩٨م

٢١- بيتي ونفسي في المعالي آيةٌ مَثَلَ السُّها ما أن تُلامسُ باليدِ

٢٢- سمحٌ إذا ما شَحَّ موسرُ معشرٍ في حالتيَّ بطارِفي وبمتُلدي

٢٣- إنّي لأقصدُ والملوكُ كثيرة في أزمتي خوفٍ وعامٍ أجردِ

٢٤- بيتي إذا ما خافَ حُرٌّ أو رجا حَرَمُ الدّخيلِ وكعبةُ المُستَرفِدِ

٢٥- حِصنُ المطرّدِ ان تعذَّرَ منعُهُ مِن خوفِ جمّاعِ الجنودِ مؤيّدِ

٢٦- آوي المشرَّدَ لي وأُعطى مانعي وأقيلُ أعدائي وأرحمُ حُسّدي

يبدأ الشاعر في سرد الأدلة – من البيت التاسع عشر إلى البيت السادس والثلاثون – التي تثبت له الفخار والمناقب الحميدة، ويسترسل في بيان هذه المآثر ويسرد بها، ويقول وإنَّما يلجأ إلى السائلين ويقصدوني خاصة في الأزمات سواء عند الخوف أو السنوات القاحلة وبيتي هو ملاذ الخائفين وأمل الراجين، وإنْ كان هناك شخص مطارد فإنَّ بيتي هو حصنه المنيع، وملاذ الفقير المشرد الذي ليس له مأوى، وأجزل العطاء لمن حرمني وبخل عليّ، وأقف بجانب أعدائي عند عثرتهم، ولا أحمل ضغينة لحسادي لكنْ أحمل لهم الرحمة وحب الخير.

وأكد كلامه بأسلوب التوكيد بـ (إنَّ واسمية الجملة) وذلك ليمنع أي تردد أو شك في أخلاقه وأصله العريق.

وبين قوله: (بفعال معروف) و (قول أحمد) حسن تقسيم يعطي نغمًا موسيقيًا عذبًا، حيث قسم أخلاقه إلى فعل معروف وقول أحمد.

وتقديم الشاعر (الفعل) على (القول) يشعر بإخلاصه: فهو لا يتكلم دون فعل وذكرت هذه الكلمات لتعظيم شأنها إذ صدرت عن خلق نبيل.
وقوله: (الناس أجمع يعلمون) أسلوب خبري غرضه التقرير والمدح والثناء على النفس. وكلمة (أجمع) توحي بالعموم، وهي توكيد معنوي يؤكد اشتهاره بالصفات الحسنة.

وآثر الشاعر التعبير بالمضارع (يعلمون) على الماضي (علموا) لأنَّ في صيغة المضارعة معنى التجدد والاستمرار، واستحضار الصورة، وهي علم الناس باشتهاره بالخلق الذي يشير إليه.

وقوله: (من آل شاذي في صميم المحتد) يوحي بكريم الخصال.

وقوله: (في صميم المحتد) جاء تأكيدًا وتقوية للمعنى، بأنّه من أصل عريق. والمراد من الأسلوب الخبري في قوله: (بَيتِي ونفسِي في المعالي آيةٌ) في البيت الحادي والعشرين هو إظهار الفخر والتباهي.

وذكر قوله: (ما أن تُلامسُ باليدِ) مع أنَّ السها لا يلامس باليد تتميمًا"[1] ليشعر بوضوح وبعد منزلته بين الناس.

وقدم (البيت) على (النفس) للاهتمام بهذا البيت ،وإظهار مكانته بين البيوتات ،ويشبّه الشاعر بيته ونفسه بالسها، وهو النجم الشامخ في العلا لبيان علو مكانته وسمو نفسه.

وجاء بـــ (الملوك) مجموعة، للإشعار بكثرة هؤلاء الملوك، ومع ذلك فإنَّهم لا يستطيعون أن يعطوا مثله.

وذكرت كلمات (خوف- عامٍ- أجرد) وذلك للإشعار بقيمة الذعر والخوف الذي كان ينتاب الناس.

وفي البيت الثاني والعشرين حذف المسند إليه في قوله: (سمح) والتقدير: (أنا سمح) للمسارعة إلى المطلوب، وهو تعداد مآثر الفخر الأخرى. وآثر الشاعر التعبير بـ (إذا) دون (إنْ) وذلك لما تشعر به (إذا) من تحقق الوقوع،

---

[1] التتميم : وهو أن يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة ، الإيضاح ج٣ ص ٢١٢، ٢١٣

وهو إحلال الشح في قومه وإغاثته له من هذا الشح. وبين (طارفي) و (مُتلدِي) طباق يوضح المعنى ويؤكده، وهو عموم جوده وسماحة نفسه.

وفي البيت الثالث والعشرين: صدر الشاعر بيته بجملة مؤكدة بـ (إن واسمية الجملة) لأنه يخبر بأمر غريب، ومن الممكن ألا يصدق، وهو أنَه الملك الوحيد الذي يمكن أن يعطي ويجود في وقت الجدب.

وإضافة (بيت) إلى (ياء المتكلم) يشعر بعظمة هذا البيت وشدة تعلق الشاعر بالمكان الذي تربى فيه على الشرف والكرم.

وعاون على هذا التأكيد التعبير بالأفعال الماضية (خَافَ ورجَا) كما أنَّه أكثر من استخدام حرف الوصل (الواو) ليبين تعدد وتنوع كثرة اللائذين ببابه عند الخوف والرجاء.

وفي البيت حسن تقسيم، حيث قسّم اللائذين ببابه إلى: خائف ومرتج، وهذا التقسيم قد أبرز ما عليه الشاعر من كريم الخصال.

والتعبير بقوله: (وكعبةُ المُسترفِدِ) يوحى بأنَّ هذا البيت هو بيت الكرام واللاجئين إليه. والبيت الخامس والعشرون من قبيل الصورة الممتدة حيث يشبّه بيته بالحصن المنيع الذي يلجأ إليه المطرود والخائف.

وحذف المسند إليه في قوله: (حصن) والتقدير: هو حصن، أو بيتي حصن للعلم بالمحذوف ولدلالة السياق عليه. و(إنْ) في قوله: (إن تعذر منعه) للشك والتقليل لبيان انعدام منع اللائذ ببيته.

وليشعر بكثافة الجنود وكثرة عددهم عبّر: بصيغة المبالغة في (جمّاع الجنود)

وفي البيت السادس والعشرين عبّر الشاعر بصيغة المضارعة في الأفعال (آوي- أعطى_ أقيل_ أرحم) ليشعر بالتجدد والاستمرار في عطائه وتعدد صفاته الحسنة،

واستخدم حرف الوصل (الواو) لكثرة اللائذين به، وتعدد وتنوع صفاته من نصرة المظلوم، وإعطاء الفقير، وتأمين الناس ولو كانوا حساده، وبين هذه الجمل (توسط بين الكمالين) لاتفاقها في الخبرية لفظًا ومعنى.

وبين (أعطى) و (مانعي) طباق يبرز المعنى ويوضحه، وجاء بالمعنى وضده ؛ليبين شدة تمسكه بشرفه وخلقه الإسلامي ،الذي لا يفرق بين عدو وصديق.

٢٧- إنَّ الغِنى والجودَ مِن نفسِ الفتى ليسا بكثرةِ أينُقٍ أو أعبُدِ

٢٨- ما كلُّ مِقلالٍ ضنينٌ باللُّهى ما كلُّ مِكثارٍ بذي كفٍّ نَدِي

٢٩- كم مِن فقيرٍ كالغنيّ بفعلهِ وأخي غِنىً كالمملقِ المُتجرِّدِ [١]

٣٠- فلذا يجودُ ووجهُهُ مُتهلّلٌ ولِذاكَ يأخذُ وهو كالعاني الصّدى [٢]

٣١- ما أمّني العافونَ الا عاينُوا بِشراً بوجهي واخضلالاً في يدِي [٣]

٣٢- ما إن رئُيتَ ولا أرى في مُهلتي يومًا على أهلي بفظ أنكدِ [٤]

****

يواصل الشاعر في سرد حسن طباعه، وأنَّه عف اللسان حسن البر والصلة بأهله وعشيرته مهما علا شأنه وارتفع قدره.

---

[١] المملق : من الإملاق ، وهو : الافتقار ، ورجل أملق ، أي فقير ، اللسان مادة أملق

[٢] الصدى : شديد العطش ، اللسان مادة صدى

[٣] اخضلالا : الخضل : كل شيء ند يترشش من نداه فهو خضل ، وشيء خضل أي: رطب اللسان مادة خضل

[٤] مهلتي : المهل : التقدم ، فلان ذو سهل : أي ذو تقدم في الخير ، والمهل والمهلة: السكينة والتودد والرفق ، اللسان مادة سهل.

البيت السابع والعشرون: مقتبس من قول الرسول عليه الصلاة والسلام "ليس الغنى عن كثرة العرض إنَّما الغني غنى النفس"

وقد جاء الشاعر بـ (إنَّ واسمية الجملة) في قوله: (إنَّ الغنى والجود من نفس الغنى) ليؤكد هذا المعنى.

وحذف المضاف في قوله: (أعبد)، والتقدير: (كثرة أعبد) لدلالة السياق عليه وفي البيت الثامن والعشرين: استخدم الشاعر صيغة المبالغة (مِقلال ومكثار) ليشعر بكثرة الصفة عنده.

(فمقلال): توحي بقلة العطاء و (مكثار) توحي بكثرة المال، وأعيدت (ما النافية) لتأكيد معنى النفي.

وبين الشطرين مقابلة توضح المعنى.

وفي البيت التاسع والعشرين: عبَر بـــ (كم) الخبرية في قوله: (كم من فقير) لإفادة الكثـــرة، وعـــاون علـــى هـــذا المعنـــى تنكيـــر كلمـــة (فقيـــر). وبين قوله: (فقير) و(غِنىَ) طباق يعطى الكلام وضوحًا وتأكيدًا. وحذفت (كم) في قوله: (وأخي غنى) لدلالة السياق عليها.

وفي البيت تشبيه تمثيلي: حيث يشبّه حال الفقير السخي بحال الغنى الذي يملك المال، وذلك بأفعاله التي تدل على ذلك، كما يشبّه حال الغنى البخيل بحال الفقير الذي لا يملك شيئًا.

وبين الشطرين مقابلة توضح المعنى بالتضاد، فبينما نجد الفقير يسخو بماله نجد الغنى يبخل ويشح بما عنده.

والبيت الثلاثون: امتداد لما قبله بين صورة الفقير الذي يسخو بماله والثري البخيـــل، وآثـــر التعبيـــر باســـم الإشـــارة (ذا) لتعظـــيم هـــذا الفقيـــر الســـخي. وقوله (وَوجهُهُ مُتهَلل) كناية عن تأصل الجود لأَنَّه يعطى وهو سعيد بالعطاء.

وفي قوله: (ولِذاكَ يأخذُ وهو كالعاني الصّدى) تشبيه لحال البخيل في حزنه بأخذ المال بحال الأسير المريض، لأَنَّه دائمًا لا يشبع ولا يرضى بما أعطى من مال.

وعبَر باسم الإشارة (ذاك) الذي للبعيد ليشعر بتحقير شأن هذا الإنسان البخيل الذي يأخذ المال وهو متحسر النفس غير قانع، والبيت تفصيل لإجمال البيت السابق.

وجاء المعنى على هذا الوجه (ليتمكن في النفس فضل تمكن، فإنَ المعنى إذا ألقى على سبيل الاجمال، تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا القى كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم [1] وبين الشطرين مقابلة بين حال الكريم الذي يجود، وهو بشوش الوجه وبين حال الغنى البخيل الذي يأخذ المال، وهو يتأوه ويدعى الفقر.

وفي البيت الواحد والثلاثين: استخدم الشاعر أسلوب القصر في قوله: "ما أمّني العافونَ الا عاينُوا بِشرا" وطريقة النفي والاستثناء، فهو لم يقصده قاصد إلَا وجد البشر وحسن اللقاء بوجهه، وفي القصر توكيد للمعنى وتقوية للكلام، فضلًا عن الإيجاز الذي يحققه القصر.

والبيت الثاني والثلاثين تعليل للبيت الذي قبله، ليؤكد فكرته بأَنَّه دائم الصلة بأهله مبتسم في وجوه الناس.

وأكد كلامه بالفعل الماضي (رُبيِت – أرَى) لإفادة تحقق الوقوع. وتنكير (فظ – أنكد) للتقليل أو التلاشي، فالشاعر ينفي نفيا مطلقًا عن نفسه الفظاظة والغلظة.

٣٣- انّي لهم في النائباتِ لخادِمٌ والخادمُ الكافي لهم كالسَّيِّدِ

[1] بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ج٢ ص ٣٤٦، ط، دار الآداب ط. السابعة عشر ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

٣٤- وأنا المجيبُ دعاءَهم ان أُرهِقوا علناً بصوتي في العجاجِ [١]الأربَدِ [٢]

٣٥- فأقيهمُ [٣]بحُشاشتي مُتبرّعاً مِن كلِّ بؤسٍ رائحٍ أو معتدي

٣٦- أفـديهمُ ان قُوتلـوا وأمـدُّهُم إن أعسـرُوا وأودُّهُـم للسُّـؤدَدِ

ما زال الشاعر يتحدث عن مكارمه وأخلاقه فيقول: عندما يطلبني قومي عند إعسارهم وعند الشدة والمحنة في القتال فإني سريع في إجابة دعوتهم، متبرعًا بذلك عن طيب نفس، فأفديهم بحياتي في ساحة القتال، وأفك شدتهم عند الإعسار. قوله في البيت الثالث والثلاثين: "انّي لهم في النائباتِ لخادِمٌ" جملة مؤكدة بـ (إن واسمية الجملة واللام) وتلك المؤكدات جاءت لإثبات أنَه معهم في الشدائد والأزمات لا يتركهم وحدهم مهما حدث من خلاف.

وجمعت (النائبات) للكثرة، وجاءت مقترنة بـ (آل) للتهويل من خطرها. ويحترز الشاعر لنفسه ويبيِن أنَّه خادم لهم ليس لضعفه وهوان شأنه، وإنَما لأنَ السيد هو الذي يقضي الحوائج عند النوائب.

وفي الشطر الثاني يوضح هذا المعنى في قوله: (والخادمُ الكافي لهم كالسَّيِّدِ) حيث يشبّه الخادم بالسيد لأنَّه يلقى أهله ويتحملهم ويقف بجانبهم، وقوله: (والخادمُ الكافي لهم كالسَّيِّدِ) إيضاح بعد إبهام، حيث أن كلمة (لخادم) مبهمة ثم وضحها في الشطر الثاني.

وفي البيت الرابع والثلاثين: عبّر الشاعر بضمير المتكلم(إنا) لأن المقام مقام تكلم وفخر. وقوله: (وأنا المجيب) قصر بتعريف فقومه إذا أعسروا لم يطلبوا إلا إياه.

---

[١] العجاج : الغبار ، وقيل الدخان ، اللسان مادة عجج

[٢] الأربد : الريادة : الغبرة ، اللسان مادة ربد

[٣] الحشاشة : روح القلب ورمق حياة النفس ، اللسان مادة حشش.

و"الفاء" في قوله: (فأقيهم بحشاشتي) في البيت الخامس والثلاثين توحي بسرعة استجابته لنداء أهله عند الشدائد والأزمات. وليشعر بأنَّه يحمي قومه عبّر بصيغة المضارع (أقيهم).

ونأخذ على الشاعر التعبير بقوله: (متبرعًا) لأنَّ وقوف المرء بجانب أهله في الشدائد واجب عليه، وليس بفضل منه أو تبرع.

وفي قوله: (من كل بؤس رائح أو معتدي) شبّه البؤس بإنسان يروح ويغتدي، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الرواح والاغتداء) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يشعر بأنَّ البؤس كثر وعم لدرجة أنَّه أصبح كائنًا حيًا يحيا ويتنفس، فقد جسدت المعنوي في صورة حسية.

ولإفادة معنى الشمول عّبر بقوله: (من كل بؤس) بين قوله: (رائح _ معتدي) طباق يبرز المعنى ويوضحه.

والبيت السادس والثلاثين: تفصيل بعد إجمال للبيت السابق، فهو يحمل المعاني التي سبق ذكرها في الأبيات السابقة.

وليشعر بتجدد واستمرار البذل والعطاء عّبر بالأفعال المضارعة (أفديهم_ أمدهم_ أودهم)

وإنْ في قوله: (إن قوتلوا) للشك والتقليل، أي أنّ اهله في منعة من القتال لا يستطيع أحد قتالهم مادام الشاعر فيهم. وبُنى الفعل (قوتلوا) للمجهول للإشعار بحقارة الفاعل.

والتعبير بقوله: (وأمدهم) يشعر بالسخاء والكرم والعطاء.

ونلاحظ اجتماع الترصيع مع حسن التقسيم في البيت، فقد أحدث كل منهما بالبيت موسيقى عذبة تطرب لها الأذن.

وفي البيت استقصاء – أيضًا – حيث استقصى الشاعر جميع الأحوال ،التي يكون عليها قومه من احتياج.

ووصل بين هذه الجمل لما بينهما من (التوسط بين الكمالين) لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

وتكرار حرف الوصل (الواو) يفيد تعدد أخلاقه الكريمة وصفاته الحميدة.

واستخدام الأفعال الماضية (قوتلوا) و (أعسروا) واتصالها بـ (إن) مع أهله يشعر بأنَّ ذلك لم يحدث لهم إلا قليلا مادام فيهم.

أمَّا الافعال المضارعة فقد أسندها إلى نفسه ليشعر بأنَّه دائم العطاء والصلة لهم ليستحضر هذه الصورة.

٣٧ – يا مُحرجي بالقولُ واللهِ الذي خَضَعت لعزَّتِهِ جباهُ السُّجَّدِ

٣٨– لولا مقالُ الهجرِ منكَ لما بدا منّي افتخارٌ بالقريضِ المُنشَدِ

٣٩– إن كنتُ قلتُ خلافَ ما هو شِيمتي فالحاكمونَ بمسمعٍ وبمشهدِ

٤٠– فخرُ الفتى بفعالهِ ذَمٌّ إذا هو لم يُلاحِ بالمقالِ المعتدي

٤١– والصِّدق كالكذبِ الصَّريح سفاهةً والمستقيمُ المتنِ كالمتأوّد

****

يعود الشاعر إلى عتاب ابن عمه نجم الدين الذي أحرجه، وأَنَّ هجاءه له هو السبب في كتابة الشعر ؛ليفخر بهؤلاء القوم الذين ذمهم، فلولا الهجر الذي ظهر من ابن عمه لما افتخر بهم، ثم يبين أهمية دفع الأذى فالفخر لا يكفي إلّا بعد ورود الأذى، والصدق مثل الكذب في السفاهة والغباء إنْ لم يجد ما يجيبه.

والتعبير بقوله في البيت السابع والثلاثين: (خضعت لعزته جباه السجد) كناية عن الخضوع والذل لعزة الله (عز وجل). وإضافة (العزة) إلى (ضمير الله عز وجل) توحي بفخامة هذه العزة وعظمتها.

وقوله: (جباه السجد) مجاز مرسل علاقته الجزئية أطلق الجزء، وهو الجبهة وأراد الكل

وهو الإنسان.

وهذا المجاز يشعر بشرف هذه الجباه ومنزلتها العالية، إذ أنَّها تذل وتخضع لعزة الله عز وجل.

وفي البيت الثامن والثلاثين: في قوله: (لولا مقام الهجر) حذف جواب (لولا)، والتقدير: لولا مقال الهجر موجود، وهذا الحذف للمبادرة إلى المطلوب. وإضافة (المقالة) إلى (الهجر) توحي بقبح هذا القول.

وتذكير كلمة (افتخار) توحي بكثرة هذا الافتخار وتعدده.

وفي البيت التاسع والثلاثين: عبَر الشاعر بـ (إنْ) دون (إذا)، لأنَّ الشاعر هنا في مقام الشك مما قاله: (الصالح نجم الدين في حقه). في مقام الشك مما قاله: (الصالح نجم الدين في حقه).

والتعبير بقوله: (خلاف ما هو شِيمتي) يوحي بصفاء قلب الشاعر رغم اتهام ابن عمه له.

وجمعت (الحاكمون) للإشعار بأنَّ الذين يشهدون بحسن خلق الشاعر كثيرون.

وفي البيت الأربعين: جاء تذكير (ذم) للتكثير أي أنَّ هذا الذم فيه ذم كثير.

وفي البيت الواحد والأربعين: يشبّه الشاعر الصدق بالكذب الصريح، ويشبّه المستقيم المعتدل بالمعوج، فأفعاله إنْ كانت من قبيل المن والتعالي على الآخرين فهو من، والفخر إنْ لم يكن له داع فهو ذم.

وبين (الصدق) و (الكذب) طباق يبرز المعنى ويوضحه، وكذلك بين (المستقيم) و (المتأود).

٤٢- واللهِ يا ابن العمِّ لولا خِيفتي لرميتُ ثُغرَكَ بالعُداةِ المُرّد[١]

٤٣- لكنَّني مِمن يخافُ حَزامةً [٢] ندماً يُجرِّعُني سِمامَ الأسود[٣]

٤٤- فأراكَ ربُّكَ بالهُدى ما ترتجي لنراكَ تفعلُ كلَّ فعلٍ أرشدِ

٤٥- لنعيدَ وجهَ الملكِ طلقاً ضاحكاً ونردَّ شملَ البيتِ غيرَ مُبدَّدِ

٤٦- كي لا ترى الأيامُ أنّا فرصةٌ للخارجينَ وضحكةٌ للحُسَّدِ

٤٧- لازالَ هذا البيتُ مرتفعُ البنا يزهُو بأمجدَ بعدَ آخرَ أمجدِ

٤٨- تحوي البنون المجدَ عن آبائِهم إرثاعلى مرِّ الزَّمانِ الأطرَدِ

٤٩- حتى يكونوا للمسيحِ عصابةً بهم يسوسُ المُعتدِي والمُهتدي

يقسم الشاعر لابن عمه نجم الدين أنَّه لولا قرابتهما لقذفه بأقبح الهجاء، لكن يمنعه من ذلك صلة الرحم بينهما، ثم يدعو الله أنْ يرشده إلى الصواب، وليقلع عن غيه الذي تمادي فيه من عدائه له، ولا يزال بيتهم بيت العز المليء بالرجال الذين يحملون راية المجد، ويكتب لهم البقاء والخلود حتى قيام الساعة حيث نزول السيد المسيح ليعيد الإسلام إلى الأرض، فيكونون هم جيشه المنتظر الذي يسود بهم.

في البيت الثاني والأربعين: يبدأ بأسلوب القسم (والله) لتأكيد المعنى، وأهمية الآتي بعده.

والمراد من النداء في قوله: (يا ابن العم) العتاب والاستعطاف.

---

[١] المارد: العاتي ، وتمرد أقبل وعتا ، اللسان مادة مرد

[٢] حزامة : الحزم ضبط الإنسان أمره، والأخذ فيه بثقة ، اللسان مادة حزم

[٣] الأسود: العظيم من الحيات، وفيه سواد والجمع ستوادات،وأساود ، وأساويد ، السابق مادة سود.

وفي قوله: (بالعداة المرد) تصوير، حيث شبّه العداة بشيء مادي أو حجارة يرمى بها، ثم حذف المشبه به، وذكر شيئا من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يوحي بحدة لسانه وقسوته وكأَّنه أحد من السيف، وفيه تقوية للمعنى حيث أبرزه في صورة حسية ملموسة.

وفي البيت الثالث والأربعين: عبّر بـ (لكن) التي تفيد الاستدراك لمنع الفهم الخطأ، فالشاعر يمنعه من الهجاء خوف الندم بوحش يخاف منه، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو(يخاف) على سبيل المكنية.

وقوله في البيت الرابع والأربعين: (فأراك ربك) أسلوب خبري لفظًا إنشائي معنى، والمراد منه الدعاء له بطلب الهداية.

وفي قوله: (فأراك ربك بالهدى ما ترتجي) شبّه ما يرتجيه بشيء من لوازمه وهو (أراك) على سبيل الاستعارة المكنية.

وفي قوله البيت الخامس والأربعين: (وجه الملك طلقا ضاحكا) شبّه الشاعر الملك بإنسان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الوجه الطلق) على سبيل الاستعارة المكنية.

وليشعر بالتجدد والاستمرار واستحضار الصورة في إعادة المودة والحب والملك عبّر بالأفعال المضارعة (نعيد_ نرد). ويبين قوله: (شمل) و (مبدد) طباق يبرز المعنى ويوضحه. والتعبير بقوله: (ونرد شمل البيت) كناية عن الاتحاد والإخاء.

والبيت السادس والأربعين: تعليل لما قبله، لإقناع القارئ بفكرته أنَّهم في اتحادهم يكونون أقوياء متمسكين.

وفي قول: (ترى الأيام) شبّه الأيام بإنسان، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (أنَّه يرى) على سبيل الاستعارة المكنية.

وأتى بكلمة (فرصة) نكره للتقليل، أي لا يوجد أي فرصة. ولفظ (ضحكة) تشعر بالسخرية والاستهزاء.

وعبّر باسم الإشارة الذي للقريب في قوله: (هذا البيت) للتعظيم والتشريف وللدلالة على قربه من قلبه.

والتعريف بـ (أل) في البيت تشعر بعهدية هذا البيت بالشرف.

وفي قوله: (يزهو) شبّه البيت بإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (يزهو) على سبيل الاستعارة المكنية.

وحذف المفضل عليه في قوله: (بأمجد) اسم تفضيل، لانتفاء وجه المقارنة. والتعبير بالفعل المضارع (نحوي) في البيت الثامن والأربعين يشعر بتجدد الحكم ودوامه وهو احتواؤها على البنين.

وجمع(البنون) يوحي بالكثرة والشدة والقوة.

وفي قوله: (المجد إرثا) تشبيه بليغ فقد شبه المجد، وهو شيء معنوي بشيء مادي يرثه البنون عن آبائهم.

وإضافة (مر) إلى (الزمان) يشعر بطول الزمن.

ووصف الزمان بـ (الأطرد) يوحي باستمرار الحكم متى تتابع الزمن وتغير.

ويعلل كلامه في البيت التاسع والأربعين بأنهم إذا اتحدوا وحافظوا على بيتهم (وهو البيت الأيوبي) وأعادوا له مجده بأنَّهم سيكتب لهم البقاء إلى قيام الساعة بقوله: (حتى يكونوا للمسيح عصابة) وفي تنكير كلمة (عصابة) ما يشعر بالتهويل والتعظيم.

ويبين (المعتدى) و (المهتدي) طباق يبرز المعنى ويوضحه..

وبينهما جناس مضارع يعطي للبيت موسيقى عذبة.[١]

---

[١] جناس المضارع هو : أن يكون الحرفان المختلفان متقاربين ، الإيضاح ٩٦/٦.

المبحث الثالث:

البلاغة في الاستنصار بالله على كربة السجن والظالمين

الاستنصار بالله على كربة السجن والظالمين

ولما اعتقله صاحبُ حلب الناصر يوسف سنة ٦٤٨هـ، سيره إلى حمص وسجنه بقلعتها أكثر من ثلاث سنين. فقال من كربه في سجنه:

١- إلهي إلهي أنتَ أعلى وأعلمُ بمحقوقِ ما تُبدي الصُّدورُ وتكتمُ

٢- وأنتَ الذي تُرجى لكلِّ عظيمةٍ وتُخشى وأنتَ الحاكمُ المتحكّمُ

٣- إلى علمكَ الفعليِّ أشكو ظلامتي وهل بسواهُ يُنصَفُ المتظلمُ

٤- أبثُّ جناياتِ العشيرةِ معلناً إلى من بمكنونِ السّرائرِ يعلّمُ

٥- أتيتهُمُ مستنصرًا مُتحرّمًا كما يفعلُ المستنصِرُ المتحرّمُ

٦- أتيانهمُ نبغي انتصاراً بأمّهم كما يفعلُ الأعمامُ حين تؤمّمُ

٧- فآووا وما وَقُّوا وفاهوا وما وَفوا وضنُّنوا فطنّوا والهدانُ مُوهَّمُ

٨- فلما أيسنا نصرهم ونوالهم رمونا بأفكِ القولِ وهو مُرجَّمُ

٩- وقُطِّعَ منّي ما أُمرتُ بوصلِهِ وإحلالُ أبعادِ القرابةِ يَحرُمُ

١٠-وَلهي التي استذرت برحماكَ والذي برُحماكَ يستذري يُجارُ ويُرحمُ

١١- فواصِلُها في نعمةٍ مُتخدَّمٌ وقاطعُها في نقمةٍ مُتخَرَّمُ

١٢- فهذا لأجلِ الوصلِ يُدني ويبتدي وذاكَ لأجلِ القطعِ يُقصي ويفصمُ

١٣- غُرِرتُ بأنّي ضيفُ غيظِ بنِ مُرَّةٍ وأضيافُها تكلا حِفاظاً وتُكرمُ

١٤- فما راقبوا حقَّ الدُّخولِ عليهمُ ولا مِن اهاناتِ الضيوفِ تذمَّموا

١٥- أذلُّوا عزيزاً هان فيكَ ترفُّعًا وكلُّ مهانٍ فيكَ يعلو ويَعظمُ

١٦- تغانوا على فقري اليكَ بمالِهم وكلُّ فقيرٍ فيكَ يَغنَى ويَغنمُ

١٧- مليكيَ تعلوني الملوكُ بقهرِها وأنتَ ملاذي منهم وهمُ همُ

١٨- فحسبي اعتصامًا أنَّني بكَ لائذٌ إذا هُزَّ خَطيٌّ وجُرِّدَ مِخذَمُ

١٩- ألستَ الذي لاذَ الخليلُ بلطفهِ ونُمرُودُ في اجهاضهِ مُتجهضِمُ

٢٠- تُردِّدُهُ في مارجِ النارِ سُلطةٌ وأُلهوبُها في الجوِّ يَضري ويَضرِمُ

٢١- فقلتَ لها كُوني فبُرِّدَ حرُّها وأمرُكَ في الأكوانِ يجري ويَجزِمُ[1]

٢٢- ويونسُ اذ يدعو رجاءً وخيفةً وقد ضمَّهُ بطنٌ مِن الحوتِ مظلمُ

٢٣- يناديكَ منه وهو يمرجُ بطنهُ يُساحلُ أحياناً وحيناً يُيمِّمُ

٢٤- فَرُدَّ مِن البلوى مُحاطاً مسلّماً ومن مركزِ البلّوى يُحاطُ المُسلّمُ

٢٥- ويعقوبُ اذ وافى ذراكَ مسلّماً واياكَ في الحاجاتِ يأتي المُسلّمُ

٢٦- اذا ردَّهُ يأسٌ تعاظمَ أوقُهُ دعاهُ رجاءٌ في امتنانكَ أعظمُ

٢٧- رَددَتَ اليه بالقميصِ بصارَهُ تكنَّفهُ داءُ العَمى وهو أبهمُ

٢٨- فبدّلتَ بؤساهُ بنعماكَ عنده كذلكمُ المختارُ يبلى ويَنعمُ

٢٩- ويوسفُ اذ بالسجنِ قدَّرت ملكهُ يعادُ اليه الطّرفُ وهو مُطهَّمُ

٣٠- وسُقتَ اليهِ والديه كليهما وإخوتهُ والأمر للأمرِ يُبرَمُ

٣١- وموسى غداةَ البحرِ والبحرُ زاخرٌ أواذيُّهُ تَحطُو الجبالَ وتحطِمُ

٣٢- أمرتَ بهِ فانشقَّ طوعاً أديمُهُ لديه كما شُقَّ الرِّداءُ المُسهَّمُ

٣٣- فنعَّمتهُ بالأمنِ مِن بعدِ خيفةٍ وكلُّ شقيّ فيكَ فهو المُنعَّمُ

---

[1] (ديوان الملك الناصر داود الأيوبي ١٢٠.

٣٤- وأحمدُ اذ أخفيتهُ لظهورِهِ يُواريهِ شِقٌّ مِن تِهامة أبكمُ

٣٥- وقِدرُ بني فُهرٍ يفورُ عداوةً تُصرِّحُ أحياناً وحيناً تُجمجِمُ

٣٦- يريدُ بهِ في الأرضِ امضاءَ حكمِها وحكمُكَ أمضى في السماءِ وأحكمُ

٣٧- فلمّا أتاهُ النَّصرُ منكَ مُتمّماً ليظهر منه القهرُ وهو مُتمَّمُ

٣٨- أتانا بنورِ الاهتداءِ مُكرّماً كذلكَ في الأنوارِ يُؤتى المكرمُ

٣٩- بهِ يهتدي من ينتديكَ ميمماً كذلك بالمهديّ يُهدى المُيممُ

٤٠- بأسمائكَ اللاتي أجنّت صدورُهُم وما علموا من سِرِّها فتعلّموا

٤١- وتخصيصك اللهم أحمدَ بعدَهم بهديكَ فهو الخاتمُ المتختَّمُ

٤٢- أغِثنا أغِثنا مِن عِدانا يكن لنا بكَ النّصرُ حتى يُخذلُوا ثم يُهزموا

٤٣- لندركهُم مِن بأسِها في كتائبٍ تهُدُّ صناديدَ الملوكِ وتَهدمُ

٤٤- فنسقيهمُ كأساً سقونا بمثلِها ونَعفُو ونَسخو اذ سَطَوا وتلوَّموا

٤٥- طلبنا جليلاً مِن عظيمٍ وانَّما يجودُ بجلِّ المكرماتِ المعظَّمُ

٤٦- كذلك نرجو منكَ آل محمدٍ أبي بكرٍ ان لا يُستهانوا ويهضموا

٤٧- فَجدد لنُعَماك القَديمة عندنا ديثُ أيادٍ لفظُها يتـــرَنم

٤٨- فنصرُك مَجعُول لنَا، ومعجَل وبَرُك معلوم لنا، فهو مُعَلم [١]

****

١- إلهي إلهي أنتَ أعلى وأعلمُ بمحقوقِ ما تُبدي الصُّدورُ وتكتمُ

٢- وأنتَ الذي تُرجى لكلِّ عظيمةٍ وتُخشى وأنتَ الحاكمُ المتحكّمُ

[١] ديوان الملك الناصر داود الأيوبي ص١٢٠

٣- إلى علمكَ الفعليِّ أشكو ظلامتي وهل بسواهُ يُنصَفُ المتظلمُ؟

٤- أبثُّ جناياتِ العشيرةِ معلناً إلى من بمكنونِ السّرائرِ يعلّمُ

****

يشكو الشاعر (الناصر داوود) حزنه إلى الله عندما خانه (الناصر يوسف) صاحب حلب، فيقول: يا إلهي أنت سبحانك أعلم بحقيقة كل إنسان وصدق ما يظهرونه وكذب ما يتظاهرون به، فإليك أشكو ظلم الظالمين، لأنَه لا يوجد غيرك ينصف المظلوم أشكو إليك من هم أقرب الناس إلىَ من أهلي وعشيرتي.

****

المراد من النداء في قوله: (إلهي.. إلهي) التذلل والخضوع لله، ليخرجه من غيابات السجن، وينقذه من الاعتقال، فهو يرجوه عله يستجيب، مما يُشعر بشدة تعلقه بالله تعالى في محنته.

وعبّر بضمير الخطاب (أنتَ)، وذلك لأن المقام مقام هيبه وإجلال وإعظام، وهذا دليل على انعدام قدرة الشاعر وفقدان أسباب النجاة. وبين (أعلى وأعلَم) جناس لاحق يعطى نغمًا موسيقيًا عذبًا.

ومجيء هاتين الصفتين على صيغة (أفعل) يشعر بتفرده سبحانه بالعلو والرفعة وإحاطته سبحانه بكل صغيرة وكبيرة.

وبين قوله (تُبدِى الصُدور وتَكتُم) توسط بين الكمالين لاتفاقهما في الخبرية لفظًا ومعنى.

وبينهما كذلك طباق يوضح المعنى ويؤكده.

والتعبير بصيغة جمع الكثرة (فُعول) في قوله: (صُدور) للإشعار بأن الصدور التي تخفى الأشياء وتكتمها صدور كثيرة، ومع كثرتها هذه يعلمها الله عز وجل.

ولأنَّ الشاعر مازال يشعر بأنَّه في مقام هيبة وإجلال آثر التعبير مرة أخرى بضمير

الخطاب (أنتَ)

في البيت الثاني. وتنكير (عظيمة) وإضافة (كُل) إليها توحى بعموم قدرة الله وشمولها.
والتعبير بصيغتي اسم الفاعل (حَاكِم – مُتحَكم) للإشعار بدوام الحكم وثبوته لله – عز وجل.

وحروف المد في البيتين الأول والثاني (إلهى.. إلهى.. أعلى – تُبدِى – ترجي – تخشى) تشعر بما في صدر الشاعر من التوجع والآهات من جراء ظلمه واعتقال أقاربه له.

وفي قوله: (إلىَ علمِكَ الفِعلي أشكُو ظُلامِتي)، قصر الشاعر شكوى مظلمته على الله عز وجل قصرًا حقيقيًا.
وآثر الشاعر التعبير بالفعل المضارع (أشكو) ليشعر بتجدد هذه الشكوى واستمرارها، فهو دائم التظلم إليه سبحانه، ويستحضر كذلك صورة الأحزان والشدائد التي حدثت له.
وآثر الناظم التعبير بـــ (المُتظلم) بدلاً من (المظلوم) لما يحمله هذا اللفظ من قوة الظلم وشدة إيقاعه في نفسه، وكأنَّه لم يكن من قبل ملكًا متوجًا له سلطانه ونفوذه.
والمراد من الاستفهام في الشطر الثاني النفي، فلا يُنصف المظلوم إلا الله.
والجمع في (جنايات) للإشعار بكثرة ما اقترفه قومه من ظلم، فالجمع يشعر بأنَّها لم تكن جناية واحدة بل تعددت وتنوعت حتى كادت تنوء بحملها الجبال.
وإضافة (جنايات) إلى (العشيرة) تؤكد المعنى السابق من كثرة الجنايات التي ارتكبها هؤلاء الأقارب.
وتنكير (معلنًا) يوحى بضعف الشاعر وهوان أمره وقلة حيلته.
وبين (معلنًا) و(السرائر) طباق أوضح المعنى وأكده، وهو علمه سبحانه بالسر والعلن

(إنَه يَعلمُ الجَهرَ وَمَا يخفَى) [١]

٥- أتيتهُمُ مستنصراً مُتحرّماً كما يفعلُ المستنصِرُ المتحرّمُ

٦- أتيانهمُ نبغي انتصاراً بأمّهم كما يفعلُ الأعمامُ حين تؤمّمُ

٧- فآووا وما وَقُّوا وفاهوا وما وَفوا وضنُّنوا فطنّوا والهدانُ [٢] مُوهَّمُ

٨- فلما أيسنا نصرهم ونوالهم رمونا بأفكِ القولِ وهو مُرجَّمُ

يواصل الشاعر حديثه ويبث شكواه إلى خالقه حيث ذهب إلى أقربائه متوسلًا إليهم بصلة الأرحام فما كان

من هؤلاء الأقرباء إلا عجزهم عن الوفاء بحق القرابة، وعندما نطقوا لم يقولوا صدقًا.

الشاعر استعمل أسلوب الحكاية في البيت الخامس، وذلك يجعل السامع يشعر بشعوره ويحس إحساسه، فقد ذهب إلى أقاربه متوسلًا لهم بصلة الرحم أن ينصروه.

وعبَر بصيغة الماضي في (أتَيتُهم) ليشعر بأنَّه لجأ أول ما لجأ إلى ذوي رحمة ليشدوا من أزره، ويقفوا معه في محنته.

وعاون على هذا المعنى تنكير كلمة (مستَنصِرًا) ليشعر بضعف الشاعر وقلة الناصر له، ويؤكد المعنى وجود (السين والتاء) في مستنصرًا الذي يشعر بأنَّ الشاعر يطلب العون والنصرة.

وبين الشطرين تشبيه تمثيلي، حيث يشبّه حاله وهو قادم على أولى رحمه يطلب نصرهم بحال الحاج ،الذي يطلب النصرة من الله لائذًا بيته الحرام، ونستشف من وراء هذا التشبيه حاجة الشاعر الملحة إلى النصر والتقوية والمؤازرة. وآثر الشاعر التعبير بصيغة الماضي (آتَيناهُم) لتحقق وقوع الإتيان منه.

---

[١] سورة الأعلى آية ٧

[٢] الهدان: بليد يرضيه الكلام، وهو الأحمق الجافي الوضم الثقيل في الحرب ، اللسان مادة هدن

وتنكير كلمة (انتصارًا) يشعر بالتعظيم، فالنصر الذي يبتغيه الشاعر هو نصر عظيم.
وفي البيت تشبيه تمثيلي، حيث شبّه حالهم في قيادة الناس إلى النصر بحال الأعمام الشجعان المعروفين بالشجاعة والإقدام حينما يُلجأ إليهم ويُستنجد بهم.
وفي البيت السابع: نجد أنَ الأفعال الماضية كلها جاءت في البيت بنقيض لها، وهذا يشعر بسوء خلق أقاربه وسوء سيرتهم بين الناس.
وفي البيت حسن تقسيم، إذ قسَم قومه بين خائن للأمانة والعهد وبخيل، وهذا التقسيم يوحى بحنقه الشديد على قومه.
وبين (وفُوا) و (وَفَوا) جناس مماثل.[1]
وبين (ظنُوا) و (ضنُوا) جناس مضارع، وقد أعطى هذا الجناس جرسًا موسيقيًا عذبًا تطرب له الأذن ويهتز له الوجدان.
وقوله: (فلما أيسنا نصرهم ونوالهم) أسلوب شرط فعله ماض، يدل على إيقان الشاعر من خذلان أهله له.
وعطف (نَوالهم) على (نصرَهم) يدل على تعدد صفاتهم الدينية من البخل والتخاذل.
والتعبير بقوله: (رمُونَا بإفك القول) شبَّه إفك القول، وهو شيء معنوي بشيء من لوازمه وهو الرمي على سبيل الاستعارة المكنية. وهذا التصوير يوحى بمدى تأثير الشاعر بهذا الإفك الذي يرمى، وكأنّه القذيفة الموجعة المؤلمة الموجهة للشاعر.
وقوله: (وهو مُرجَم) إطناب بالتذييل[2]، وهذا التذييل قوي المعنى وأكده، وهو الافتراء والكذب.

٩- وقُطِّعَ منّي ما أُمرتُ بوصلِهِ وإحلالُ أبعادِ القرابةِ يَحرُمُ

١٠-وَلهي التي استذرت برحماكَ والذي برُحماكَ يستذري يُجارُ ويُرحمُ

---

[1] الجناس المماثل: هو ما كان اللفظان من نوع واحد، الإيضاح للخطيب القزويني ج٦ ص ٩١
[2] من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن ص ٥٧

١١- فواصِلُها في نعمةٍ مُتخدَّمٌ وقاطعُها في نقمةٍ مُتخَرَّمُ

١٢- فهذا لأجلِ الوصلِ يُدني ويبتدي وذاكَ لأجلِ القطعِ يُقصي ويفصمُ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات بأنَّ (الملك يوسف صاحب حمص) قد قطع رحمه التي أمره الله بوصلها، وهدِه الرحم قد استوجبت الجوار والرحمة، وأنَ واصل الرحم قد ضمن نعمة من خالقه، بينما قاطع الرحم فهو في نقمة وغضب من ربه.

التعبير بقوله: "وقَطَعَ مِنى ما أُمرت بوصله" كناية عن عدم صلة الرحم التي أمر الله تعالى بها.

التعبير بقوله في البيت التاسع :(ما أمرت بوصلته) يدل على ما أمر الله (تعالي) بصلة الأرحام، وهو لم يقطعها، وهو لم يقطعها، بل جاء القطع خارجا عن رغبته وإرادته، بدليل أنه حرم القطع في الشطر الثاني من البيت.

وتشديد (الطاء) في (قطع) لما كان له نفس الدلالة(فقطع) بالتضعيف أقوي في الدلالة من (قطع) _ بالتخفيف لأنهم جعلوا الألفاظ أدلة على المعاني فأقوى ينبغي أن يقابل به قوة في الفعل

وبين (قطع _بوصله_ وإحلال _ يحرم) طباق أبرز المعنى ووضحه.

وبين (إبعاد) و(القرابة) طباق يوضح المعنى بالتضاد ويبرزه.

وعبر الشاعر في البيت العاشر بالضمير في قوله: (ولهي) للتعظيم، وقد استمد تعظيمهما من عظمة الله _ عز وجل -.

والتعبير بقوله: (استذرت برحماك) يوحي برهافة حس الشاعر الديني ، فهو متأثر في هذا المعنى بقوله الله عز وجل _ في الحديث القدسي : (خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته"[١]

[١] رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب قطيعة الرحم حديث رقم ٨٤/ ٣١٥

وفصل بين قوله: "والذي برحماك يستذرى" وقوله: (يجار ويرحم) لما بينهما من (شبه كمال اتصال) حيث وقعت الجملة الثانية جوابًا لسؤال مقدر أثارته الجملة الأولى، والتقدير: ماذا أوجبت يا إلهي لهم

يلجأ إليك؟ فكان الجواب: يجار ويرحم.

وجيء بالفعلين (يجار ويرحم) مبنيين للمجهول لعظمة الفاعل وهو الله تعالى.

وبين الشطرين في البيت الحادي عشر مقابلة توضح المعنى بالتضاد وتؤكده، فبينما نرى واصل الرحم في نعمة وفضل من خالقه، نجد قاطع الرحم في نقمة وغضب من ربه.

ومما ساعد على فهم هذا المعنى إيثاره التعبير بـــــ (فِي) (الظرفية) التي تشعر بأنَّ واصل الرحم يبدو للعيان وكأنَّه غارق في وابل من الخير، والبركات وقاطع الرحم يبدو وكأنَّه قد أحاطه الشر واللعنة والنقمة من كل جانب، فلا يكاد أن ينفك منهما.

وبين (نِعمة) و (نِقمة) الأولى للتعظيم الذي يشوبه كثرة، والثانية للتحقير الذي يشوبه القلة، والإتيان بأكثر من جناس في البيت يوضح قدرة الشاعر الفنية ويبرز إمكاناته البلاغية، وبين الشطرين تصريع يعطى جرساً موسيقياً عذبًا تطرب له الأذن.

وفي البيت الحادي عشر: قسم الشاعر الناس إلى واصل الرحم وقاطع لها.

وعبَر الشاعر باسم الإشارة (هذا) في البيت الثاني عشر تعظيمًا للأول وتحقيرًا للثاني: وهو قاطع الرحم.

وآثر الشاعر التعبير بصيغة المضارع في الأفعال (يدني – يبتدى – يقصي – يقضم) لتجدد الحكم واستمراره وليستحضر صورة كل من واصل الرحم وما يناله من ثواب وأجر من خالقه، وقاطع الرحم وما يناله من عقاب وعذاب شديد في الآخرة.

وليطرى على النفس موسيقى عذبة هامسة آثر الشاعر الإتيان بالجناس اللاحق في قوله: (يُقضي – يُقضِم).

١٣- غُرِرتُ بأنّي ضيفُ غيظِ بنِ مُرَّةٍ وأضيافُها تكلا حِفاظاً وتُكرمُ

١٤- فما راقبوا حقَّ الدُّخولِ عليهمُ ولا مِن اهاناتِ الضيوفِ تذمَّموا

١٥- أذلُّوا عزيزاً هان فيكَ ترفُّعاً وكلُّ مهانٍ فيكَ يعلو ويَعظمُ

١٦- تغانوا على فقري اليكَ بمالِهم وكلُّ فقيرٍ فيكَ يَغنَى ويَغنمُ[١]

١٧- مليكيَ تعلوني الملوكُ بقهرِها وأنتَ ملاذي منهم وهمُ همُ

١٨- فحسبي اعتصاماً أنَّني بكَ لائذٌ اذا هُزَّ خَطيٌّ وجُرِّدَ مِخذَمُ

يواصل الشاعر حديثه عن أقاربه الذين خذلوه، وقد ظن أنَه نزل على قبيلة (غيظ بن مره) المشهود لهم بالكرم، لكن العجب العجاب أنَّهم لم يراعوا حق اللجوء إليهم، فقد أذلوه وحقروا من شأنه، وهؤلاء القوم وإن زاد غناهم، فهو غنى بمولاه، وعندما يتجمع عليه الأعداء، ويرفعون رماحهم، ويستلون سيوفهم ، فهو غنى بمولاه، وعندما يتجمع عليه الأعداء، ويرفعون رماحهم، ويستلون سيوفهم، فهو على ثقة بأنَّ الله- سبحانه وتعالى – سيحميه.

تعبير الشاعر في البيت الثالث عشر بالفعل الماضي (غُرِرت) يشعر بطعنة في قلبه، حيث أنَه لم يكن يتوقع الإساءة من ذوي رحمه.

وذكره لقبيله (غيظ بن مره) يشعر باستحقار الشاعر لأقاربه واستخفافه لما بذلوه في إيذائه، فقد كان يتوقع أنه نزل بقوم بخلاف ذلك.

وآثر الشاعر الاتيان بالجمع ف قوله :(أضياف)، لكثره أضياف ابن مره مما يؤكد كرمه وشده جوده.

---

[١] غيظ بن مرة : فرع من قبيلة ذبيان، نسبة إلى غيظ بن مرة بن عوف بن لؤي من قريش ، الذي نزل ببني ذبيان فاشتهر نسبه إلى نسبهم، ويزعم بنو أيوب أنهم يسمون إلى هذا النسب

وبين الشاعر البيت الثالث عشر والرابع عشر: مقابله، حيث أنَّه انتظر منهم الكرم، ولكنه وجد منهم عكس ما توقع. والتعبير بقوله :(فما راقبوا حق الدخول عليهم) يشعر ببلاده قوم الشاعر وأقاربه فهم يستهينون بكل ما عرف عن الضيف، وهذه أسوأ العادات التي ذكرها الشاعر في قومه.

ولتحقق حدوث هذا الفعل من قومه عبّر بالأفعال الماضية (راقبوا –تذمموا) وفي البيت الخامس عشر: أكد الشاعر تعبيره بالفعل الماضي (أذلوا) لأنَّ المذلة والهول واقعه متحققة منهم، فقد تقاعسوا عن نصره، وزجوا به في غيابات السجن.

فالفعل الماضي واتصاله (واو الجماعة) يشعران بأنَّهم كانوا متآزرين على حبسه وإيقاع الأذى والضرر به

ويستشف من وراء هذا التعبير مدي قسوة قومه عليه وظلمهم إياه وأنَّه ذله وتذلله بين يدي خالقه يزيده رفعه وعلوا فلا يهمه ما فعلوه به.

وآثر الشاعر التعبير بالأفعال المضارعة (يعلو –يعظم) للإشعار بتجديد واستمرار هذا الحكم، وهو العظمة والعلو بسبب الاستنصار بالله عز وجل.

ويأتي التعبير بالفعل (تغانوا) في البيت السادس عشر: ليوحي بمشاركه هؤلاء عنه كربه، ولكن هيهات فمن كان فقره الي الله كان غنيًّا عن جميع الخلائق، وبين (يغني) و(يغنم) جناس لاحق يعطي للكلام موسيقي عذبه.

وبين الشاعر في البيت السابع عشر: مدى الذل والخضوع إليه سبحانه بالنداء في قوله: (مليكي) وحذف حرف النداء في قوله :(مليكي) للتعبير عن شعور الداعي بقربه من ربه، مع النداء يتشرب معني الامر، فحذف (يا) من النداء ليزول معني الامر، ويتمحص التعظيم والإجلال لله

وليشعر بقرب الشاعر من ربه، وأنه لا توجد موانع تمنعه من مناجاته، عله سبحانه أن يفرج عنه كربه ويزيل غمه.

والتعبير بقوله :(تعلوني الملوك بقهرها) يشعر بآهات الشاعر المكنونة في داخل صدره، وأنها تخرج من قلب ينبض بالذل والهوان، لأنّه واقع عليه من تجاه من يتوقع منهم النصر والظفر والمؤازرة.

وآثر الشاعر التعبير بقوله: (بِقَهرها) دون (قدرتها) ليشعر بشدة جبروت هؤلاء الملوك وقوة بأسهم.

والتعبير بضمير الغائب (هم) مع تكراره يشعر بأنَّ الملوك لا تتغير طباعهم، فهم قد فطروا على ظلم الناس والقسوة عليهم، كما أنَّ في هذا التعبير تحقيرًا لشأنهم إذ لم يرغب الشاعر في النطق بأسمائهم، وكأنَه يتمنى زوالهم من حياته، لما لاقاه من عنت وهوان بأيديهم.

ويؤكد الشاعر في البيت الثامن عشر على ثقته الشديدة في نصر الله له رغم تكاتف الأعداء عليه بقوله:

(فحسبي اعتصامًا أنَني بِك لائذ)

ويتضح القصر في قوله: (بك لائذ) فقد قصر الشاعر لياذه على الله – عز وجل قصرًا حقيقيًا طريقة التقديم، وهذا القصر يوحى بأنَّ الشاعر يعتمد على الله ولا يهمه قوة شكيمة هؤلاء الملوك لأنَها بجانب قوة الله لا تساوي شيئًا.

١٩– ألستَ الذي لاذَ الخليلُ بلطفهِ ونُمرُود[١]ُ(في اجهاضهِ– مُتجهضِمُ؟ [٢]

٢٠– تُردِّدُهُ في مارجِ النارِ سُلطةٌ وأُلهو بُها في الجوِّ يَضري ويَضرِمُ

[١] نمرود: هو الجبار المعتمد الذي حاج إبراهيم الخليل في ربه، فنصر الله نبيه، وبهت الذي كفر ، الديوان ص ١١٨.

[٢] متجهضم : متغطرس متكبر ، الديوان ص١١٨

٢١- فقلتَ لها كُوني فبُرِّدَ حرُّها وأمرُكَ في الأكوانِ يجري ويَجزِمُ[١]

ويتحدث الشاعر في هذه الأبيات ويقول :ولم لا أثق في حمايتك إياي؟ وأنت يا إلهي قد نجيت الخليل إبراهيم- عليه السلام- من النمرود، عندما ألقَوا به في النار المستعرة، ولكنك يا إلهي قد كتبت له النجاة من حرقتها، حيث قلت يا إلهى للنار: (قلنا يا نار كونى بردًا وسلاماً على إبراهيم (فتحولت النار من خاصية الحرارة إلى البرودة، ولكن بلا أذى بل بسلام وأمن على إبراهيم.

المراد من الاستفهام في البيت التاسع عشر في قوله: (ألستَ الذي؟) التقرير.

وقوله: (لاذَ الخليل بلطفه) شبّه لطف الله بالملجأ والملاذ، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، على سبيل الاستعارة المكنية.

والتعبير بقوله: (لاذَ الخليل بلطفه) شبّه فيه حالة الشاعر بحالة نبي الله إبراهيم حين تجمع عليه القوم ليحرقوه، وأنقذه الله تعالى.

وقد ذكر الشاعر هذه الحالة للائتناس بها في موقفه الصعب. ولفظة (نمرود) رمز لكل متجبر ظالم.

وبين الشطرين مقابلة توضح المعنى بالتضاد بين موقف إبراهيم الخليل- عليه السلام- الذي وضع في النار وبين موقف النمرود الملك المتكبر.

ويؤثر الشاعر التعبير بالفعل المضارع (ترده) في البيت العشرين بقوله: (تُرَدَدهُ فِي مَارج النَار) ليوحِي بشدة اضطراب الحركة التي كان عليها الخليل – عليه السلام- حين وضع في النار، ولكن لطف الله أنقذه منها لم يمسه – عليه السلام – أدنى أذى فكانت بردًا وسلامًا عليه.

فالفعل المضارع بصيغته وتضعيف عينه رسم جو الخوف والذعر والفزع وشدة الحركة القلقة المضطربة التي كان عليها الخليل، مما يستدر شفقة السامع وعطفه. وبين

١

(يضرى ويضرم) جناس لاحق يضفي على سمعنا موسيقى عذبة.

وفصل بين قوله: (فقُلت لها) وقوله: (كُونى) لما بينهما من (شبه كمال اتصال) حيث وقعت بعد جملة القول كما قال الإمام عبد القاهر " والتعبير بقوله: (فَبُرد حرها) يوحى بإذعان النار لأمر ربها.

والفاء في قوله: (فَبُرد حَرها) تشعر بالفورية والسرعة، فبعد أن أمر النار بأنَّ تكون بردًا وسلامًا عليه أعقبها بقوله: (فبرد حرها) على الفور، ولم تكن هناك مهلة.

٢٢- ويونسُ اذ يدعو رجاءً وخيفةً وقد ضمَّهُ بطنٌ مِن الحوتِ مظلمُ

٢٣- يناديكَ منه وهو يمرجُ[1] بطنهُ يُساحلُ أحياناً وحيناً يُيمِّمُ

٢٤- فَرُدَّ مِن البلوى مُحاطاً مسلّماً ومن مركزِ البلّوى يُحاطُ المُسلّمُ

ونبي الله يونس . عليه السلام . عندما ابتلعه الحوت، فما كان إلا أن لاذ اليك ليحتمي بك في داخل الحوت المظلم، والحوت يبحر في الماء فمره يقترب من الساحل وأخري يدخل في أعماق البحر، فأنجيته بقدرتك من الهلاك المحقق.

في البيت الثاني والعشرين: يذكر نبي الله يونس . عليه السلام . باسمه العلم ليقتدي به كل من اصابه الخوف والجزع.

وآثر الشاعر صيغه المضارع (يدعو) ليستحضر صوره الدعاء المستمر والمناجاة لربه وهو في بطن الحوت حيث كان يقول:(أن لا إله إلا أنت إني كنت من الظالمين)[2]

والفعل الماضي وقد دخلت عليه (قد) في قوله:(وقد ضمه) يؤكد أن تحقق الازمه ووقوعها بالفعل على سيدنا يونس وإحساس الشاعر بها، وقد وضع في السجن ولا يقدر على الخروج منه.

---

[1] يمرج : يخلط ، وفي التنزيل العزيز " مرج البحرين يلتقيان" ، اللسان مادة مرج

[2] سورة الأنبياء آية ٨٧

وتنكير كلمه (بطن) للتهويل من ظلمه هذه البطن ومدي الذعر والخوف.

وقوله:(مظلم) إطناب بالإيغال [1]أ المعني وقواه وذلك لأنَّ بطن الحوت لا تكون إلا مظلمه وآثر الشاعر التعبير بالمضارع في البيت الثالث والعشرين : في قوله،:(يناديك) ليستحضر صوره سيدنا يونس ـ عليه السلام ـ وهو في بطن يناجي ربه ويناديه، وبما أنَّ الحوت لا يستقر له مكان، أتى التعبير بقوله : (وهو يمرج بطنه)

وقد أضفى حسن التقسيم على البيت صورة الحركة المستمرة من الحوت لأنَّه لا يستقر بمكان، فتارة يقترب ويذهب به إلى الساحل وتارة يدخل به في أعماق البحر مما يشعر بشدة الكرب واليأس الذي كان عليه سيدنا يونس – عليه السلام.

وفي البيت الرابع والعشرين: بيَن الشاعر أنَ مع العسر يسرًا، ومع الشدة يأتي الفرج، فقد رد الله سيدنا يونس – عليه السلام – من محنته محاطًا بالرعاية والسلم معبرًا عن ذلك بقوله:(فردَ البلوى محاطا مسلما).

وتنكير هذين اللفظين (مُسلَما) و (محاطًا) يوحى بعظم كل من السلامة والإحاطة، إذ أنهما من قبل الله سبحانه وتعالى.

وقد أضفى فن رد الأعجاز على الصدور بين الشطرين في البيت تأكيدًا وتقديراً للكلام.

٢٥– ويعقوبُ اذ وافى ذراكَ مسلّماً وإياكَ في الحاجاتِ يأتي المُسلّمُ

٢٦– إذا ردَّهُ يأسٌ تعاظمَ أوقُهُ دعاهُ رجاءٌ في امتنانكَ أعظمُ

٢٧– رَددَتَ اليه بالقميصِ بصارَهُ تكنَّفهُ داءُ العَمى وهو أبهمُ

٢٨– فبدّلتَ بؤساهُ بنعماكَ عنده كذلكمُ المختارُ يبلى ويَنعمُ

[1] الإيغال : هو ضم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها، الإيضاح ج٣ ص ٢٠٢

ونبي الله يعقوب – عليه السلام – عندما لجأ إلى عليائك عندما أحاطه اليأس من عودة يوسف وأخيه ووصل اليأس ذروته، دعاك راجيًا فضلك، فأعدت إليه بصره المفقود بقدرتك العظيمة، فتحول بؤسه وشقاؤه إلى نعيم وفضل، فرددت عليه بصره، وأعدت إليه ولده المفقود وعندما أحاط يعقوب – عليه السلام اليأس من عودة يوسف وأخيه دعا ربه مناجيًا إياه. [١]

ويسترسل الشاعر حديثه في البيت الخامس والعشرين عن الابتلاء في حياه الانبياء، ويذكر نبي الله يعقوب . عليه السلام ويرمز اليه بالصبر على الشدائد والابتلاء والمحن.

والتعبير بقوله:(وافي ذراك) يشعر بأن نبي الله يعقوب قد لجأ الي علياء الله يستجير به فكان له الأمن والسلام.

وإضافة (ذرا) إلى كاف الخطاب في قوله:(ذراك) المعبر بها عن الله –عز وجل – لتعظيم هذا الذرا وارتفاع شأنه، فهو علو ما بعده علو. وتقديم المفعول (إياك) علي الفعل (يأتي) لاختصاص أي اختصاص الله . عز وجل بالرجوع اليه في الحاجات.

وعاون على هذا المعني التعبير بصيغه المضارع في قوله:(يأتي) بالإشعار بتجدد واستمرار هذا الحكم، وهو اللجوء له عز وجل دائمًا.

وقد صور الشاعر اليأس بإنسان، وحذف المشبه به ورمز اليه بشيء من لوزمه وهو (يرده) على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[١] (٢) يمرج: يخلط، مرج الناس : اختلطوا اللسان مادة مرج (٣)الأوق : الثقل وقد أو قته تأويقا أي حملته المشقة والمكروه اللسان مادة أوق. (٤) بؤساه: يقصد بالبؤسين العمى، وفقد الولد، الديوان ص ١١٩.

ومجيء الفعل (تعاظم) على وزن (تفاعل) يشعر بأنَّه قد وصل ما يحمله من الحزن والاسي أضعافًا كثيره.

وفي قوله:(دعاه رجاء) شبّه الرجاء بشخص يدعوه، وحذف المشبه به وأتي بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

والبيت السابع والعشرين: نتيجة طبيعية لدعوه سيدنا يعقوب – عليه السلام – إذ دعا ربه، وهو مكروب بأنّه يرد عليه بصره، فكانت البشارة له يوضع قميص يوسف –عليه السلام – على بصره فارتد بصيرا، وعاون على هذا المعني الفعل الماضي (رددت) وما يشعر به من الفرج بعد الضيق، واليسر بعد العسر، كما حكي القرآن عنه قوله:(اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين)[1]

وجاءت كلمة (القميص) معرفة بـ (آل) لتعظيم القميص، وما حققه من رد البصر إلى يعقوب عليه السلام.

وكان للكناية أثرها البديع في هذا البيت في قوله: (تكنَفه داءُ العَمَى) إذ يشعر بتحكم العمى وإحاطته بيعقوب – عليه السلام – وشدة سيطرته عليه.

والتعبير بجملة الحال في قوله: (وهُوَ أبهم) لاستحضار الحالة التي كان عليها يعقوب – عليه السلام– وإثارة الشفقة والعطف عليه.

وبين (بصاره) و (العمى) طباق يبرز المعنى ويوضحه، وهو المفارقة الشديدة والهوة البعيدة بين العمى والإبصار.

وفي البيت الثامن والعشرين: بين الشاعر فضل الله على نبيه يعقوب – عليه السلام– بتحول بؤسه إلى نعمة، مؤكدًا ذلك بالفعل الماضي (فَبدلَت) المضعف العين، يشعر بأنَّ نعم الله لا تحصى ولا تعد، فبعد أن كان في بؤس من العمى ردَ إليه بصره، وأعاد إليه ولديه (يوسف) و(أخاه) والتأم شمل الأسرة.

---

[1] سورة يوسف آية ٩٣

ووصل بين قوله: (يبلى وينعم) قصدًا للتشريك في الحكم الإعرابي وهو كونها خبرًا، والعطف بينهما يشعر بالتغاير، فالدنيا لا تدوم على حال فمن العسر إلى اليسر، ومن الضيق إلى الفرج، ومن الابتلاء إلى الإنعام، ويقول الحق، في محكم تنزيله: (وتلك الأيام نداولها بين الناس) [١]

وبينهما كذلك طباق يوضح المعنى ويبرزه، وهو المفارقة بين الابتلاء والإنعام.

٢٩ – ويوسفُ اذ بالسجنِ قدَّرت ملكهُ يعادُ اليه الطّرفُ وهو مُطهَّمُ

٣٠– وسُقتَ اليهِ والديه كليهما وإخوتهُ والأمرِ للأمرِ يُبرَمُ

أمّا نبي الله يوسف – عليه السلام – عندما كان في السجن حبيسًا فحولت بقدرتك بلاءه إلى نعيم، وجعلت من السجن سببًا في الملك والعز، وأعدت إليه والديه بعد طول فراق ويأس من التلاقي، وأعدت إليه إخوته بعد أن فرق الشيطان شملهم. والتعبير بقوله:(اذ بالسجن قدرت ملكه) كنايه عن حماية الله تعالي لسيدنا يوسف – عليه السلام – ورعايته له، فقد قدر الله أن يكون ملكًا على مصر، وأن يري والديه وإخوته ويلتئم شمل الأسرة من جديد. وفي قوله:(يقاد إليه الطرف) شبه الطرف بشخص أو كائن حي يقاد، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

والتصوير يشعر بجمال سيدنا يوسف –عليه السلام –وشدة تأثيره بجماله في كل من تنظر إليه من النساء ومدي تأثرهن به.

والتعبير بالفعل المضارع (يقاد) يصور استمرار شغف النساء به ومراودتهن إياه مما يشعر بنزاهته وعفته وطهارته عن الدنايا ،وترفعه عن ارتكاب ما حرم الله.

---

[١] سورة آل عمران آية ١٤٠

وعاون على هذا المعني السابق قوله؛ :(وهو مطهم) على صيغه (التفعل) ليشعر برفعته وشرفه وطهارته فما أبدعها من عفة وما أرفعها من طهارة، فقد أبت نفسه المعصومة أن يقترف ما حرم الله وأن يعيش في غيابات الظلم كما عاش في صغره في غيابات اليم.

وفي البيت الثلاثين جاء قوله:(وسقت إليه والديه) وهو كنايه عن قدره الله العظيمة ومنة فضله عن نبيه بلقائه مع أبويه وعودته إليهم مما يوحي بثقة الشاعر القوية، ويقينه بربه.

وعبّر بلفظي (كليهما وإخوته) ليشعر برحمه الله سبحانه ورأفته بخلقه إذ لم يأت بأحدهما ليوسف – عليه السلام – ولكنه أتي بهم جميعًا بعد طول انتظار وتفرق فجمع شملهم.

وقد أضفي تكرار الراء على البيت في قوله:(والأمر للأمر يبرم) موسيقي عذبه

فضلًا عما يحمله التعبير من السعادة والنشوة التي لحقت بسيدنا يوسف – عليه السلام – بالتقائه مع والديه وإخوته، وكأنَّ هذه السعادة وتلك النشوة والبهجة بل تكن واحده بل تكررت مرارا.

وذكر الشاعر ليوسف –عليه السلام –وما حاواه ربه من النعم والفضل بعد الظلم من إخوته وإلقائه في غيابات الجب والزج به في السجن يشير به الشاعر من طرف خفي إلى ما حدث له من ظلم أقاربه له وحبسه واعتقاله وأخذ مملكته وسلطانه فكما من الله على يوسف بعوده أهله إليه وتمكنه له في الارض فأصبح ملكًا على مصر، فهو يتمني أنْ يعيد إليه صلته بأقاربه وذوي رحمه.

٣١ – وموسى غداةَ البحرِ والبحرُ زاخرٌ أواذيُّهُ تَحطُو الجبالَ وتحطِمُ

٣٢– أمرتَ بهِ فانشقَّ طوعاً أديمُهُ لديه كما شُقَّ الرِّداءُ المُسهَّمُ

٣٣– فنعَّمتهُ بالأمنِ مِن بعدِ خيفةٍ وكلُّ شقيّ فيكَ فهو المُنعَّمُ

كذلك . أنقذت موسي . عليه السلام . صبيحه البحر عندما حوصر موسي وبنو إسرائيل بين فرعون وجيشه وبين البحر عالي الأمواج، فأمرت البحر فانشق طائعًا مستسلمًا لأمرك وحولت خوفه أمنًا.

والتعبير بالعلمية في قوله:(موسي) وذلك لإحضار المعبر عنه بعينه في الذهن.

ويتضح الإيجاز بالحذف في قوله:(وموسى غداة البحر) والتقدير: وموسى أنقذته غداة البحر، وهذا الإيجار للمسارعة بالمطلوب، وهو قص قصه سيدنا موسي –عليه السلام– والانتهاء من سردها.

وتنكير قوله:(زاخر) يشعر بعظمه هذا الامتلاء، وفخامة البحر وهوله.

وقد عبّر الحق سبحانه وتعالي عن هذا الهول في تلك القصة بقوله: فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم"[1]

وقوله:(أواذيه تخطو الجبال وتحطم) كنايه عن قوة الأمواج وشدتها، وارتفاعها، وما تحدثه في البحر من هول، إذ إنّها ترتفع إلى أن تغطي الجبال بل إنّها تحطم الجبال الراسخة، وتشديد الياء التي تشعر بصعوبة المواقف وشده الأزمة التي تعرض لها نبي الله – عليه السلام– حين تبعه فرعون وقومه.

وإضافة (أواذُيه) الي (ضمير الغائب) المعبر عن البحر توحي بعظم هذا البحر وفخامته وكبر حجمه، كما أنّ هذه الاضافة تلقي في النفس الذعر والرعب إذ أنها الأواذي التي تحطم الجبال الرواسي.

ووصل بين جمله (تحطم) وجمله (تخطو) لإرادة تشريك الجملة الثانية في الحكم الإعرابي للجملة الأولي وهو كونها خبرا، كما إنّهما يشتركان في تصوير هول هذه الامواج وقوه تأثيرها.

---

[1] سورة طه آية ٧٨

(والفاء) في قوله:(فانشق) تصوير سرعه الانشقاق بأقصى سرعه، فالبحر خلق من مخلوقات الله التي لأمر الله تنصاع وتستجيب على الفوز، فالفاء عاونت على الشعور بهذا المعني.

ولتحقق حدوث الفعل عبر بالفعل الماضي (انشق).

وجاء بالاحتراس في قوله:(طوعًا) حتى لا يتوهم أنّ البحر تأذى أو تضرر من هذا الفعل، ولكنه قد انشق عن طواعية، وكأنَّ البحر تشرف بهذا الأمر.

وفي البيت، شبّه الشاعر انشقاق البحر لموسى – عليه السلام – عندما أدركه فرعون وقومه في يسر وسهوله بحال الثوب المخطط حين يشق بآلة في يسر وسهوله لاعوجاج فيه، وهذا التشبيه قد وضح المعني وقربه للأذهان إذ شق البحر من الأشياء التي يصعب تصورها ؛إذ لم يرها أحد إلا من كان في هذا الوقت، فلم تتخيل إلا بما يقربها الي الاذهان، لذا لجأ الشاعر إلي الثياب المخطط حتى تتضح الصورة.

واختياره للفظ (المسهم) جاء في موضعه، إذ شق الثوب المخطط بآلة يكون في استقامة لا اعوجاج فيهما مما يوحي بأنَّ الطريق الذي سلكه سيدنا موسي، ومن معه في عرض البحر كان مستقيمًا لا اعوجاج فيه.

والبيت الثالث والثلاثين: بيّن فيه الشاعر فضل الله علي نبيه موسي –عليه السلام – والفرج الذي أتاه بعد كرب.

وللإشعار بتحقق هذا الانعام وتحققه عبّر بالفعل الماضي (نعمت)، وتضعيف (العين) في الفعل يوحي بالمبالغة في هذا الإنعام وكثرته، وبين قوله:(أمن) و(خوف) طباق يبرز المعني ويوضحه.

وفي قوله:(فهو المنعم) قصر الشعور بالنعمة على من كان في جانب الله تعالي، وطريق هذا القصر تعريف الطرفين.

٣٤- وأحمدُ اذ أخفيتهُ لظهورِهِ يُواريهِ شِقٌّ مِن تِهامة أبكمُ

٣٥- وقِدرُ بني فُهرٍ يفورُ عداوةً تُصرِّحُ أحياناً وحيناً تُجمجِمُ

٣٦- يريدُ بهِ في الأرضِ إمضاءَ حكمِها وحكمُكَ أمضى في السماءِ وأحكمُ

٣٧- فلمّا أتاهُ النَّصرُ منكَ مُتمّمًا ليظهر منه القهرُ وهو مُتمَّمُ

٣٨- أتانا بنورِ الاهتداءِ مُكرّماً كذلكَ في الأنوارِ يُؤتى المكرمُ

٣٩- بهِ يهتدي من ينتديكَ ميممًا كذلك بالمهديّ يُهدى المُيممُ

وفي هذه الأبيات يذكر نعمه الله علي نبيه محمد – صلي الله عليه وسلم – نجاه الله من المشركين يوم الهجرة، ومن قبيلة بني فهر الذين امتلأت قلوبهم عداوة للنبي، وهم يريدون بذلك السيطرة ومد النفوذ في الارض، وعندما تم نصرك لرسولك –صلي الله عليه وسلم –عليهم نزعت الملك والسيطرة منهم، فجاءنا الرسول بالهداية والخير مكرمًا معظمًا بعونك له وإكرامك لنبيك.

وفي البيت الرابع والثلاثين: يذكر خاتم المرسلين سيدنا محمد– عليه السلام –باسمه الخاص لإحضاره بعينه في ذهن السامع حتى لا يتوهم غيره، وقد أحسن الشاعر إذ اختتم به قصصه الشعري فهو مسك الختام.

وآثر الشاعر التعبير بالعلم (أحمد) بدلًا من أسمائه الأخرى (محمد . المصطفي المختار) وذلك لأنَّ العلم يوحي بأنَّه –صلي الله عليه وسلم _أحمدهم لدي الحق جل وعلا.

وبين (أخفيته) و(لظهوره) طباق يبرز المعنى ويوضحه، ويؤكد الشاعر في هذا المعنى على أنّ قدره الله مطلقة، فإذا بالأمن يأتي من مصدر الخوف، فكذلك كان إخفاء النبي محمد –صلي الله عليه وسلم –في غار حراء سببًا في ظهوره دعوته وانتشارها عند الهجرة.

في قوله:(يواريه شق من تهامة أبكم) شبّه الغار، وهو الشق بشخص يخفي النبي عن أعين أعدائه، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الإخفاء) على سبيل الاستعارة المكنية. [1]

والتصوير يوحي بالمشقة والعناء للوصول إلى غار حراء، وفي هذه دليل علي الحياة الصعبة التي عاشها النبي محمد –صلي الله عليه وسلم– في سبيل تبليغ دعوه الله تعالى، كما يوحي بأنّ الغار قد تضامن وتعاون مع النبي، عليه الصلاة والسلام.

ونكرت لفظه (شق) للتعظيم، أي أنّ الشق مهما كان حجمه إلا أنَّه عظم وفخم، فهذه العظمة والفخامة أتت من هذا الشق الذي يخبئ رسول الله وصاحبه.

وفي البيت الخامس والثلاثين: في قوله:(وقدر بني فهر يفوز عداوة) شبّه الصدور المملوءة بالغيظ والكراهية والعداوة بالقدر التي تغلي على النار ولكنّها لا تغلي بالماء بل تغلي بشده الكراهية والعداوة بالقدر التي تغلي على النار، ولكنّها لا تعلي بالماء بل تغلي بشده الكراهية والبغض والحقد وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وهذه الاستعارة تصور مدي غضب هذه القبيلة وحنقها والحقد الذي يملأ قلوبهم علي محمد عليه الصلاة والسلام.

وبين (تصرح و(تجمجم) طباق يبرز المعني ويوضحه، وجود العداوة على أي حال في نفوس المشركين

وفي قوله:(يفور . عداوة) شبّه العداوة بالماء الذي يفور ويغلي، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (يفوز) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير

---

[1] (١) بنوقهر: القرشيون، الديوان ص ١١٩.

(٢) تجمجم: تخفى ، الديوان ص ١١٩.

يشعر بشدة العداوة والحقد في قلوبهم بني فهر الذين هم رؤوس المشركين من قريش.

وآثر الشاعر التعبير بالفعل المضارع في البيت السادس والثلاثين في قوله:(تريد) ليشعر بتجديد واستمرار هذا الحكم، وهو إرادتهم الدائمة في إمضاء حكمهم في الارض وسيادتهم.

وفي قوله:(وحكمك أمضي) شبّه حكم الله في نفاذة وحسمه بالسيف الماضي القاطع، وحذف المشبه به، وأتي بشيء من لوازمه، وهو (أمضي) على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التصوير يوحي بصرامة الحكم وشدته في السماء والارض، وحذف المفضل عليه في قوله:(أمضي وأحكم) لانتقاده وجه المقارنة بين المفضل والمفضل عليه، إذ أن الفضل وهو حكم الله سبحانه وتعالي، فهو يفوق كل حكم، وبين (الأرض) و(السماء) طباق يبرز المعني ويوضحه، وهو الفرق الشديد والهوه البعيدة بينهما.

ولعنا نلحظ أنَّ لفظة (الأرض والسماء) الأولي توحي بالحقارة، والثانية توحي بالعلو والعظمة، فقد أتي بالأولى في جانب الحاقدين، والثانية في جانب الله عز وجل.

وفي البيت السابع والثلاثين: يوضح الشاعر أنَّ النصر كان حليفًا للرسول – صلي الله عليه وسلم – وأكد هذا المعني التعبير بالفعل الماضي (أتي).

وفي قوله:(ليظهر منه القهر) شبّه القهر وهو شيء معنوي بشيء مادي يظهر، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

وهذا التصوير قد جسد الشيء المعنوي في صورة حسية، ويشعر بمدي هذا القهر، وتأثيره على الخلق.

وقد أضفى المحسن البديعي وهو (رد الأعجاز على الصدور) بين الشطرين موسيقي عذبه تشغف لها القلوب، وذلك بتردد اللفظ مرتين في البيت، ففيه تقرير وبيان.

وفي البيت الثامن والثلاثين . فقد أشعر هذا الفعل (أتانا) بتحقق حصول الهداية لكل من أسلم وسار على الطريق المستقيم.

وفي قوله :(أتانا بنور الاهتداء) شبّه الاهتداء بالنور الذي يرشد السائر ويهديه الي الطريق المستقيم تشبيهًا بليغًا، وهذا التشبيه يوحي بأثر الهداية على النفس وفضلها على الآخرين.

وآثر الشاعر التعبير باسم الاشارة (ذلك) ليشعر بارتفاع المنزلة وعلو الشأن.

وجمعت (الأنوار) للإشعار بكثرتها وشيوعها في أرجاء الكون. وبين الشطرين (رد للأعجاز على الصدور).

وفي البيت التاسع والثلاثين – في قوله: (به يتهدى) قصرت الهداية على الرسول (صلى الله عليه وسلم) قصرًا حقيقيًا تحقيقًا، وهذا القصر يوحى بأنَّ الهداية قد حاذاها النبي – صلى الله عليه وسلم– لنفسه، وقد انحصرت فيه.

وإيثار الشاعر للأفعال المضارعة (يُهدَى – يهتَدى) يشعر بتجدد واستمرار هذا الحكم، وبين الشطرين (رد للأعجاز على الصدور) وقد أضفى على السياق تكرارًا للكلام، وفي هذا بيان وإيضاح.

٤٠– بأسمائكَ اللاتي أجنّت صدورُهُم وما علموا من سِرّها فتعلّموا

٤١– وتخصيصك اللهم أحمدَ بعدَهم بهديكَ فهو الخاتمُ المتختَّمُ

يتوسل الشاعر بأسماء الله الحسنى التي أذهلت عقول العارفين وما تعلموا منها سوى ما علمهم الله من أسرارها، ويتوسل – أيضًا – بالشفيع المشفع الذي خصه الله بالتشريف على جميع المخلوقات.

في البيت الأربعين يقول : (بأسمائكَ اللاتي أجنّت صدورُهُم) ليشعر بأنّ أفضل الدعاء يكون بذكر أسماء الله – تعالى – متأثرًا بقوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه

بها) [١]

وفي قوله : (أجنَت صُدورُهم) مجاز مرسل، حيث عبّر (بالصدور) وأراد القلوب لعلاقة المحلية، ولكل منها أهمية في التأثير لا تقل عن الأخرى فيهما، (ولأنَ القلوب مجمع الأضغان ومحل الأحقاد، فقد أطلق المحل- وهو الصدور- وأريد الحال فيها – وهو القلوب والقرينة حالية، فالمجاز أكد المعنى وقواه، فكأنَه قيل: إنَ هذه القلوب قد تضخمت بما فيها من العظمة، لأنَها فاضت على الصدور فملأتها، وفي هذا بيان: كون المجاز دعوى الشيء بالبينة والبرهان)[٢].

والتعبير بالفعل المبنى للمجهول (عُلموا) للإيذان بأنَّ هذا التعليم من قبل الله تعالى.

وفي البيت الحادي والأربعين يناجي الشاعر ربه ويتوسل إلى الشفيع المشفع بالنداء في قوله: (اللهم) وهو نداء حذفت منه (يا) وذلك لما فيها من الفخامة والروعة، وحذف النداء هنا للإشعار بقرب المنزلة.

وذكر المفعول (أحمد) وذلك إظهارًا لعظمة هذا الاسم، وعظمة مسماه كما أنَه فيه تلذذًا باسمه.

وفي قوله: (وهو الخاتم المتختم قصر الخاتمية على محمد – صلى الله عليه وسلم – قصرًا حقيقيًا تحقيقيًأ، وطريق القصر تعريف الطرفين، وهذا القصر يؤكد أنَ الرسول – صلى الله عليه وسلم – خاتم الأنبياء جميعًا، كما يبرز عقيدة الشاعر السليمة وإيمانه بالله تعالى.

٤٢- أغِثنا أغِثنا مِن عِدانا يكن لنا بكَ النّصرُ حتى يُخذلُوا ثم يُهزموا

٤٣- لندركهُم مِن بأسِها في كتائبٍ تهُدُّ صناديدَ الملوكِ وتَهدمُ

---

[١] سورة الأعراف آية ١٨٠

[٢] علم البيان د. عبد الفتاح لاشين ص ١٥٧

٤٤- فنسقيهمُ كأساً سقونا بمثلِها ونَعفُو ونَسخو اذ سَطَوا وتلوَّموا

٤٥- طلبنا جليلاً مِن عظيمٍ وانَّما يجودُ بجلِّ المكرماتِ المعظَّمُ

****

يستغيث الشاعر بخالقه أنْ ينجيه من أعدائه الظالمين، فنذيقهم كأس الهزيمة والمرارة التي أذاقونا مثلها من قبل، ولكننا لكرم نفوسنا وسماحة قلوبنا سنعفو عنهم، وإنَّا إنْ كنا قد طلبنا أمرًا كبيرًا فهذا ليس غريبًا لأّننا طلبناه من ربنا العظيم.

في البيت الثاني والأربعين تكرار في قوله: (أغِثنا.. أغِثنا) ليبين شدة عوز العبد إلى خالقه واحتياجه إليه ، بأنْ ينصره على ظلم أقاربه وذوي رحمه ،والمراد من الأمر هنا الدعاء والتوسل والضراعة

وفي قوله: (بكَ النَصر) قصر النصر على الله – سبحانه وتعالى- وطريق القصر التقديم، وهذا يوحى بأنَّ لا نصر إلا من الله عز وجل.

وبين (يُهزَموا) و (يُخذَلوا) جناس لاحق يضفي على السياق موسيقا عذبة.

وبين (النصر) و(يخذل) طباق أبرز المعنى ووضحه، وهو الفرق بين الحالتين.

والبيت الثالث والأربعين: تعليل للبيت السابق فبنصر الله ورسوله معه يقضي عليهم الشاعر بهذه القوى التي تفوق كل الأقوياء.

وعبَر الشاعر بـــ (كتَائب) مجموعة جمع كثرة، وذلك للإشعار بكثرة هذه الكتائب وقوتها وفخامة شأنها، وأكد هذا المعنى تنكير الكلمة.

وفي قوله: (تهُدُّ صناديدَ الملوكِ وتَهدمُ) شبّه الأبطال من الملوك الأقوياء ببناء شامخ عالٍ، وحذف المشبه به: ورمز إليه بشيء من لوازمه: وهو أنّه يُهَد ويهدم على سبيل الاستعارة المكنية .

وهذه الاستعارة تصور شدة بأس هذه الكتائب وقوتها.

وإضافة (صنَاديد) إلى (الملوك) تشعر بعظمة هذه الصناديد إذ هم صناديد الملوك، فليسوا أي أبطال، بل يمتلكون من العدة والعتاد والجبروت وقوة الشكيمة. وبين (تُهَد)

و (تُهدَم) جناس ناقص يعطى نغمًا موسيقيًا عذبًا..

وفي البيت الرابع والأربعين: في قوله: (فنسقيهم كأسًا) شبّه الهزيمة بالكأس المريرة، وحذف المشبه وصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، وهذه الاستعارة توحي بالقوة التي استمدها الشاعر من مؤازرة الحق سبحانه وتعالى، وتصور كذلك مدى الحقد الدفين والكراهية التي يكنها الشاعر لأقاربه، فهو يريد أن يسقيهم من كأس المرار والذل اللذين سُقى منهما الشاعر.

ومما يدل على أنَّ الشاعر ذو خلق ديني وعقيدة إيمانية سليمة عفوه عند المقدرة في قوله: (ونعفو ونسخو) وقوله: (إذا سَطوا وتلوموا) مقابلة.

والأفعال المضارعة (نسقى – نعفو – نسخو) توحى بتجدد الحكم ودوامه وأنَّ العفو والسماحة والكرم – متجددة ومستمرة في الشاعر.

وأّما الفعلان الماضيان (سطوا وتلوموا) فيشعران بتحقق وقوع السطو والظلم والطغيان من أقاربه.

وفي البيت الخامس والأربعين في قوله: (طلبنا جليلا من عظيم) نكرت كلمة (جليلًا) يشعر بعظم المطلب.

وقد التفت الشاعر من التكلم في (طَلبنا) إلى الغائب في (يجود) لجذب الانتباه وإثارة الذهن.

وفي قوله: (وإنَّما يجود بجل المكرمات المعظم) قصر الكرم والعطاء عليه سبحانه قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا طريقه (إنَما)، وهذا القصر يوحى باحتياج الشاعر إلى ربه فإنَه الجواد الذي نلجأ إليه عند الشدائد.

٤٦- كذلك نرجو منكَ آل محمدٍ أبي بكرٍ ان لا يُستهانوا ويهضموا

٤٧- فَجدد لنُعَماك القَديمة عندنا حَديثُ أيادٍ لفظُها يتـــرَنم

٤٨- فنصرُك مَجعُول لنَا، ومعجَل وبَرُك معلوم لنا، فهو مُعَلم

يتحدث الشاعر ويقول بأنّه كما كان دعاء آل الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم وآل

الخليفة أبي بكر الصديق أن تعزهم، وألا تسلط عليهم عدوًا، فإنّي أدعوك يا إلهي أنْ تنعم علينا بأفضالك الجليلة التي تعيد إلينا مجدنا وعزنا فاجعله عاجلًا سريعًا ولا تؤجله.

تعريف المسند إليه بالإضافة في البيت السادس والأربعين: في قوله: (آل مُحمد)، وذلك للإيجاز إذ لو لم تكن هذه الإضافة لقيل: فلان وفلان كما أن في هذه الإضافة تشريفًا وتعظيمًا لهؤلاء الآل.

وفي قوله: (أبي بكر) إيجاز بالحذف تقديره: (آل أبي بكر) وحذفت لدلالة السياق عليها.

وذكر (آل أبي بكر) بعد (آل أحمد) تشريفًا وتكريمًا لهم. والمراد من قوله: (لا يُستهانوا ويهضموا) الدعاء لهم بعدم الإهانة وهضم الحق، فالأسلوب لفظه خبري ومعناه إنشائي.

ويسترسل الشاعر في البيت السابع والأربعين حديثه بطلبه أنْ يستجيب الله دعاءه ،كما استجاب دعاء آل سيدنا محمد وآل سيدنا محمد وآل سيدنا أبي بكر ،فكما كتبت لهم العزة والنصرة فاكتب لنا بأنْ تعيد لنا مجدنا المسلوب وملكنا الضائع المنهوب، فليس الأمر على حقيقته في قوله: (فجدد) وإنّما خرج إلى معنى الدعاء. وجمعت كلمة (نُعماك) للتعدد والتنوع، فهي نعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى وإضافتها إليه سبحانه لتعظيم شأن هذه النعم، فهي من رب غفور رحيم. وفي كلمة (أياد) مجاز مرسل علاقته السببية حيث ذكر اليد، والمراد منها النعمة، وإنّما ذكرت اليد لأنّها سبب العطاء.

وفي قوله: (لفظها يترنم) شبّه اللفظ بإنسان يترنم ويتغنى وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (يترنم) على سبيل الاستعارة المكنية. وهذا التصوير قد جسد المعنى في صورة حسية وقوى المعنى وأكده.

وفي البيت الثامن والأربعين: أضاف الشاعر النصر إلى كاف الخطاب المعبَر عن الذات العلية، للإشعار بالتعظيم والتشريف، فهو نصر الله وبره اللذان لا يعدلهما نصر. وقوله: (فنصرك مجعول لنا) أسلوب خبري لفظًا إنشائي معنى، والمراد منه الدعاء والتضرع إلى الحق سبحانه.

هكذا استطاع الشاعر أنْ ينقل إلينا صورة حية ناطقة مما كان يلاقيه من أبناء عمومه وأسرته من الظلم والإهانة والحبس من خلال هذه الفنون البلاغية التي تعانقت وترابطت أخذًا بعضهما بإصر بعض لتكتمل الصورة التي يريدها الشاعر من خلال هذا المبحث الزاخر بالألفاظ والمعاني الممتلئة بالمشاعر الجياشة فجاءت تشبيهاته واستعاراته سهلة غير معقدة واضحة غاية الوضوح.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد،

فبعد هذه الرحلة التي عشت فيها مع شعر الملك الناصر داود الأيوبي ، الذي تميز بإحساس مرهف، وشعور متدفق ،وقد ظهر ذلك جليًا في نظمه لأغراض الشعر المختلفة، التي كان لها الارتباط الوثيق بحياته الملكية، فقد عاش الملك الناصر حياته ما بين حياة ملوكية مترفة، وعيش ورغد ولهو ومجون، وبين حياة تعسة بائسة ذاق فيها ضيق العيش ، وكآبة الحياة ، وذل وهوان الأقارب ، فجاء عتابه لأقاربه وأصدقائه صادقًا من نفس متأوهة ،وصدر ممتلئ بالحزن وإحساس بالظلم حيث أهانوه، وسلبوا ملكه وزجوا في غيابات السجون، واستعان على ظلمهم بالله ،فمعايشته التجربة جعلته ينطق بألفاظ وعبارات صادقة ، ومشاعر جياشة ، فمن يقرأ شعره في عتاب الإخوان والاستنصار عليهم بالله يبصره يخرج من نفس مشبعة بالآلام ، وقد تبين لي من خلال دراسة عتاب الإخوان والاستنصار عليهم بالله .

أولًا: تمتع الملك الناصر داود الأيوبي بحس مرهف، وذوق بلاغي رفيع ومشاعر جياشة تفيض بالرقة والعذوبة.

ثانيًا: دقة الشاعر في انتقاء ألفاظه من المعجم اللغوي، وقدرته الفائقة على التفنن في صياغتها بما يرمي إليه من غرض ،ويوحي بما تقصد إليه من معنى حيث جاءت ألفاظه سهلة واضحة غاية في اليسر والسهولة، بعيدة عن الغرابة والتعقيد.

ثالثًا: ومن سمات الشاعر التعبيرية أنّه كثيرًا ما يوافق في تخير اللفظ الذي يؤدي به المعنى المصور.

رابعًا: كثرت أساليب النداء وخاصة "يا" دون أخواتها من أدوات النداء سواء في مناجاته ربه أو في الأغراض الشعرية الأخرى ؛مما يبرز تأوه الشاعر وتوجعه وآلامه، وعلى كثرتها فإنها لم تخل بفصاحة ألفاظه وعباراته ،بل جعلت لها رنينا يخرج من نفس مشبعة بالآمال والآلام.

خامسًا: أرى أنَّ الشاعر وفق في الاهتداء إلى بعض الألفاظ التي تشع كثيرًا من الإيحاءات، وتنبئ بعديد من المعاني ،ويكشف عن أهمية الاختيار الدقيق الذي يقتضيه النظم مما يبرز التآلف، والترابط الناتج عن نظم البيت ثم إنَّ المعاني التي في الأبيات تدل على التجربة التي عاشها الشاعر ،فجاءت مسايرة للجو النفسي.

التوصيات:

أوصي بدراسة ديوان الملك الناصر داود الأيوبي كل غرض على حدة.

فهرست المصادر والمراجع:

- البداية والنهاية، ابن كثير طبعة دار الفكر بدون تاريخ.
- بغية الإيضاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي ط، دار الآداب ط. السابعة عشر ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
- الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، الطبعة: الثانية ط: القاهرة بدون تاريخ – دار نهضة مصر.
- دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة، بدون.
- ذيل مرآة الزمان، قطب الدين اليونيني ط، القاهرة، حيدر آياد، الطبعة: الأولى، ١٩٥٤م
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – ابن العماد الحنبلي، مكتبة القدس ١٣٥١هـ
- علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع د. بسيوني فيود مؤسسة المختار دار المعالم الثقافية ط: الثانية١٤١٨ هـ ١٩٩٨م
- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري حققه وعلق عليه محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة.
- فوات الوفيات ابن شاكر الكتبي ط: بولاق سنة ٣٩٩هـ
- المعاني في ضوء أساليب القرآن د/عبد الفتاح لاشين، دار الفكرالعربي ط:الثانية١٤٢٠/٢٠٠٠.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب جمال الدين بن واصل، تحقيق الدكتور: حسنين ربيع – نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب – مركز تحقيق التراث سنة ١٩٧٢م
- من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن، د/عبد الفتاح لاشين الطبعة الأولى، دار عكاظ للنشر والتوزيع.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط/ القاهرة بدون تاريخ دار الكتب المصرية